مأساة زينب

علي أحمد باكثير

مكتبة مصر

مأساة زينب

تأليف

علي أحمد باكثير

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

(أشخاص المسرحية)

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

فردييه	: الجنرال فردييه نائب القائد العام .
بلانش	: زوجته .
زينب	:
محيي الدين	: ابن عم زينب وحبيبها .
حافظ	: أعمى من فلول أتباع الشيخ سليمان الجوسقى .
مينو	: الجنرال مينو . قومندان القاهرة ثم القائد العام .
جاكلين فرانسواز	: امرأتان فرنسيتان .
زبيدة	: زوجة الجنرال مينو .
الرشيدى	: على الرشيدى أخو زبيدة من الأم .
على	: أعمى من فلول أتباع الشيخ الجوسقى .
فريان	: الجنرال فريان . قائد فرنسى .
عبده	: أحد عمال البناء .
كليبر	: الجنرال كليبر . القائد العام .
البشتيلى	: الحاج مصطفى البشتيلى .

داماس	: الجنرال داماس من كبار القواد .
سليمان	: سليمان الحلبى قاتل كليبر .
رينييه لانوس	: من كبار القواد .
ردستون	: تاجر فى رشيد . جاسوس إنجليزى .
أم زينب	: والدة زينب .
لطيفة	: جارية أم زينب .
أم داود	: أرملة الشيخ الجوسقى .
هتشنسون	: الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .
الضابط	: ضابط إنجليزى مرافق هتشنسون .
نصوح	: نصوح باشا قائد عثمانى .
الطنبورجى	: عثمان الطنبورجى من أمراء المماليك .
خليل	: الشيخ خليل البكرى والد زينب .
كريت	: السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد .
عبد العال أغا	: جلاد .

جنود — حرس — جموع من عامة الشعب .

الفصل الأول

في مقر القيادة العامة « بيت الألفى بك » بهو كبير فى الحرملك يتصل برواق واسع يحيط بالبيت كله من جميع جوانبه .

فى صدر المسرح باب مفتوح بين البهو والرواق يكشف جانبا من داخل البهو . يظهر فى الجانب الأيسر من المسرح جزء من الممـــــر الموصل إلى السلاملك حيث يمكث القائد العام .

الوقت : ضحى يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠

(يرفع الستار عن الجنرال فرديه نائب القائد العام وزوجته بلانش وعندهما زينب وهم يجلسون فى جانب من الرواق) .

بلانش : (**تنهض**) انتظرى يا زينب سآتى بقطرة لعينيك .

زينب : (**تمسكـها لتجلسها**) كلا لا داعى لذلك .

بلانش : عيناك محمرتان .

فرديه : أجل دعيها يا زينب تعالج عينيك . لا تخافى .. إنها أصبحت خبيرة فى أمراض العيون من كثرة ما عالجت فى

المستشفى تحت إشراف الدكتور ديجنت .

زينب : أعرف ذلك ولكن ليس بعينى شىء .

بلانش : وهذه الحمرة ؟

زينب : لم أستطع أن أنام البارحة من القلق . هذا كل ما هناك .

فرديه : ما هذا يا عزيزتى بلانش ؟ أبعد هذا المران الطويل كله لا تقدرين أن تميزى بين حمرة السهر وحمرة الرمد .

بلانش : يا عزيزى لا تخلط الجد والهزل . أنا لست طبيبة . أنا ممرضة .

فرديه : معذرة يا عزيزتى بيانكا . لكن فيم يا زينب كل هذا القلق ؟ هل حدث بينك وبين أبيك شجار جديد ؟

زينب : لا يا جنرال فرديه .

بلانش : بينك وبين أمك ؟

زينب : لا .. ما عدت أقلق لمثل هذه الأمور .

فرديه : من جراء هذه الحرب ؟

زينب : نعم .

فرديه : هونى عليك . إنها شر لا بد منه . وعلينا أن نواجهها راضين أو كارهين .

زينب : أنا أخشى من الأتراك والمماليك أن يحكمونا مرة أخرى .

فرديه : اطمئنى . أنا واثق أن الجنرال كليبر سيهزمهم اليوم هزيمة منكرة .

زينب : حتى فى هذه الحالة أخشى أن يرجع كليبر عن رأيه فى الجلاء بعد ذلك .

فرديبه : كليبر يرجع عن رأيه فى الجلاء ؟ هذا مستحيل .

زينب : ربما يتغلب رأى الجنرال مينو وأنصاره فى الجيش .

فرديبه : كلا .. مينو وأنصاره أضعف من ذلك .

بلانش : هل لى أن أنصحك يا زينب من قلب مخلص ؟

زينب : نعم .

بلانش : ولا تغضبين منى ؟

زينب : لا .

بلانش : تزوجى محيى الدين ابن عمك . لا ينبغى أن تعيشى هكذا وحيدة .

زينب : مدام فرديبه .. ما صلة هذا الكلام بما نحن فيه ؟

بلانش : الوحدة يا حبيبتى هى التى تثير هذا القلق فيك .

زينب : هو الذى أوعز إليك ؟

بلانش : لا وحياة العذراء . ولكنى أعلم أنك تحبينه وهو يحبك .

زينب : (**فى صرامة**) مدام فرديبه إن كنت تحبيننى حقا فاتركى هذا الحديث فإنه يؤلمنى .

بلانش : صدقينى .. أنا ما قلت هذا إلا لأنى أحبك .

زينب : أعلم ذلك ، ولكنه أمر لا سبيل إليه الآن فأنا مشغولة بما هو أهم .

فرديبه : (**ينظر أمامه**) ها هو ذا محيى الدين قد أقبل .

(يدخل محيى الدين فيرحب به فرديه ومدام فرديه) .

محيى الدين : الحمد لله إذ ليس عندكم أحد .

زينب : عندك أخبار ؟

محيى الدين : هامة جدا .

زينب : خير.؟

محيى الدين : تعال يا حافظ .

(يدخل حافظ الأعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

زينب : قص علينا ما عندك . من أين جئت أولا ؟

حافظ : من إقليم المنصورة . الناس فى هياج شديد لأن الفرنسيين عادوا إلى حصونهم بعد ما تركوها . وتواجد الأتراك من جنود الصدر الأعظم فدعوا الناس إلى الجهاد فامتنع أنصارنا واستجاب الباقون ووقعت بينهم وبين الفرنسيين اشتباكات دامية .

زينب : لقد أحسن أنصارنا صنعا إذ لم ينخدعوا بدعوى الأتراك الزائفة . نبّه من تلقى من أصحابنا إلى ذلك .

حافظ : سمعا وطاعة . (**ينصرف**) .

(ينظر فرديه وبلانش إليه متعجبين من اهتدائه إلى الطريق وهو أعمى حتى يغيب) .

فرديه : هذا من أتباع الشيخ الجوسقى ؟

محيى الدين : نعم .

فردييه : الشيخ الأعمى الذى لطم بونابرت ؟
محيى الدين : نعم .
بلانش : غير معقول .
فردييه : سمعت ذلك من بونابرت نفسه . قال لى إنها اللطمة الوحيدة التى ذاقها فى حياته . كان شديد الإعجاب به ويقول عنه إنه ما رأى فى حياته مثله .
فردييه : الواقع أنه يستحق الإعجاب ، فمشروع جيش الشعب الذى كان يسعى لإنشائه يدل على صدق رؤيته وبعد غوره فى السياسة .
بلانش : فيم إذن قتله بونابرت ؟
فردييه : لأنه كان خطرا علينا إذ ذاك ، أما اليوم بعدما أدركنا ألا مناص لنا من الجلاء عن هذه البلاد فمن مصلحتنا أن نشجع هذا المشروع ولو فى السر .
زينب : لكن الجنرال كليبر ما زال مترددا فى تأييد هذا المشروع .
فردييه : لأن معاهدة العريش كانت تلزمه بتسليم البلاد إلى الأتراك .
زينب : واليوم وقد نقضوا المعاهدة ؟
فردييه : فسيكون له موقف آخر لا شك . المهم أن ننتصر اليوم على العدو .
زينب : المهم عندنا يا جنرال فردييه أن نعلم ماذا أنتم فاعلون بعد الانتصار ؟

فرديه : ماذا تعنين يا زينب ؟

زينب : أتتعاونون حينئذ معنا على الجلاء . أم تتعاونون معهم ؟

فرديه : كلا لن نتعاون معهم أبدا إلا إذا اضطررنا إلى ذلك ، لحاجتنا إلى السفن التى تحملنا إلى بلادنا .

زينب : هذه هى العقدة .

فرديه : عقدة لا حل لها إلا إذا تغيرت الظروف فى أوربا واستطاع بونابرت أن يسعفنا بالسفن من عنده .

بلانش : لا تعتمدوا على بونابرت ، فقد صدق الجنرال كليبر إذ قال عنه إنه شغل عنا بالسعى لبناء مجده الشخصى هناك .

فرديه : ماذا ترين فيه يا زينب ؟

زينب : لا تسألونى . لم يبق له عندى اليوم من وجود .

محيى الدين : لقد صدقت يا جنرال فرديه . المهم اليوم أن تنتصروا على جيش الترك ثم تنظر بعد ذلك فيما يكون .

فرديه : أليس كذلك ؟ اطمئنى يا زينب فلن يقع بعد ذلك إلا كل خير .

محيى الدين : ما رأيك يا جنرال فرديه فى السيد على الرشيدى ؟

فرديه : صهر الجنرال مينو ؟

محيى الدين : نعم .

زينب : السخيف الذى يغازلنى كلما رآنى .

فرديه : هذا من محاسيب مينو وجواسيسه . يعتقد أن مينو أحق

بالقيادة العامة من كليبر . لكن لماذا تسألنى عنه ؟

محيى الدين : لأنى رأيت منه اليوم ما رابنى .

فرديبه : ماذا تعنى ؟

محيى الدين : رأيته يتصل بأتراك خان الخليلى ويتهامس معهم ، ومعه رجل أشقر علمت فيما بعد أنه تاجر إنجليزى فى رشيد .

فرديبه : تاجر إنجليزى ؟

زينب : هل تأكدت من ذلك ؟

محيى الدين : نعم .. اسمه ردستون .

فرديبه : وما الذى رابك منهم ؟ لعلهم كانوا أصدقاء .

محيى الدين : رأيتهم يتلفتون حولهم ويتهامسون كأنهم يدبرون أمرا .

بلانش : (**مداعبة**) إياك يا سيد محيى الدين أن تقول هذا بدافع الغيرة .

فرديبه : لأنه ينافسك فى حب زينب .

محيى الدين : كلاً يجب أن تعلما أننى لا أغار على زينب من أحد .

الاثنان : ماذا تقول ؟

زينب : لقد صدق فيما قال . لأنى لو أردت أن أتزوج أحدا ما تزوجت غيره أبدا .

بلانش : معذرة يا سيد محيى الدين إنما كنت أداعبك .

فرديبه : أجل ، ولو سمعت ماذا قالت عنك اليوم قبل حضورك لاستحققت منك هدية معتبرة .

محيى الدين : لا نشك فى حبكم لنا يا آل فرديبه وحنانكم علينا ،

ونحن نعتبركم كأنكم ....

(**ينهض**) ائذنوا لى الآن .

فرديه : إلى أين ؟ إلى خان الخليلى ؟

محيى الدين : (**ضاحكا**) إلى خان الخليلى وغيره .

فرديه : لا تنقطع عنا كثيرا يا محيى .

محيى الدين : سوف أعود فى الحال . (**يخرج**) .

(**يدخل الجنرال مينو فيتبادل معهم التحية**) .

مينو : يسرنى أن أراك هنا يا مدام بونابرت .

زينب : يا جنرال مُينو أنا لست مدام بونابرت ..

مينو : مدام محيى الدين ؟

زينب : زينب البكرى .

مينو : إن كان السيد محيى الدين لا ينوى أن يتزوجك ، فاسمحى لى أن أرشح لك صهرى العزيز السيد على الرشيدى .

زينب : يا جنرال مينو أنا مخطوبة لمحيى الدين ابن عمى .

مينو : كان هذا قبل أن يتزوجك بونابرت .

زينب : وما زلت حتى اليوم .

مينو : لم لا تتزوجان إذن حتى تريحانى من على الرشيدى وإلحاحه علىّ (**يتضاحك**) .

فرديه : (**ليغير موضوع الحديث**) سيدى القومندان كيف حال الأمن فى العاصمة ؟

مينو : على أحسن ما يرام .. مستتب فى كل مكان .

فرديه : تذكر أننا ألفان فقط فى العاصمة .

مينو : إن كنت تخشى من ثورة الأهالى فاطمئن ، فإن رجالى ساهرون يقظون .

فرديه : وخان الخليلى هل لك دورية فيه ؟

مينو : ولماذا خان الخليلى بالذات ؟

فرديه : لأن فيه جماعة كبيرة من الأتراك .

مينو : هؤلاء استوطنوا البلد من قديم ، فلا خوف منهم .

فرديه : ربما يتجسسون لبنى جنسهم .

مينو : أوه هذا بعيد .

(يدخل جندى فرنسى فيؤدى التحية العسكرية) .

فرديه : أنت من عند الجنراك زايوتشك ؟

الجندى : نعم يا سيدى الجنرال .

فرديه : هيه كيف الحال عندكم فى الجيزة ؟

الجندى : على ما يرام يا سيدى الجنرال .. هل من نبأ جديد عن المعركة ؟

فرديه : نعم نبأ ثان يؤكد النبأ الأول . إن جيشنا بمربعاته ما زال هو المسيطر على الميدان ، وإنه يزحف رويدا رويدا للاشتباك مع العدو .

الجندى : (**يتهيأ للانصراف**) هل من رسالة أخرى أبلغها للجنرال زايوتشك .

فرديه : قل له إنى أشكره على يقظته وحسن معاونته .

(**يخرج الجندى**) .

مينو : أراك متفائلا يا جنرال فرديه أكثر مما ينبغى ..

فرديه : ما أشك أن الجنرال كليبر سيلقن هؤلاء الأتراك درسا قاسيا اليوم .

مينو : ربما يهزمهم فى النهاية لسوء قيادتهم وقلة نظامهم ، ولكنهم سيكبدوننا لا شك خسائر جسيمة .

فرديه : لا بد للنصر من ثمن .

مينو : ما كان أغنانا عن دفع هذا الثمن .

فرديه : كيف ؟

مينو : لو كنا رفضنا معاهدة العريش الخاسرة .

فرديه : أوه ! ما زلت تحمل على معاهدة العريش . تلك معاهدة قد عقدت ثم نقضت وانقضى أمرها .

مينو : لكنا ما زلنا نعيش فى عقابيلها .

فرديه : التبعة ليست علينا بل على من نقضوها .

مينو : بل التبعة على من فرضها علينا فرضا .

فرديه : كلا ما فرضها علينا أحد . لقد كان الجيش كله يؤيدها ويراها سبيله إلى الخلاص .

مينو : أنا عارضت كليبر فيها وحذرته من عواقبها .

: أنت كنت تعارض فكرة الجلاء على الإطلاق

مينو : أجل .. كيف نترك مستعمرتنا الجميلة هذه بغير

مقابل ؟

فرديبه : بل مقابل رجوعنا بشرفنا وكرامتنا وعتادنا وأسلحتنا إلى وطننا المحبوب .

مينو : فهل عدتم إلى وطنكم المحبوب أم خدعوكم فأخذوكم على غرة ؟

فرديبه : هذا ليس ذنبنا بل ذنب الإنجليز الذين نقضوا المعاهدة .

مينو : لقد كنت أعلم أنهم سينقضونها .

فرديبه : كنت تعلم ؟ من أين ؟

مينو : (**فى ارتباك**) أعنى كنت أتوقع ذلك .

فرديبه : منذا جعلك تتوقع ذلك ؟

مينو : السير سيدنى سميث .

فرديبه : ما كنت فى المفاوضين فأين اتصلت به ؟

مينو : أنا لم أتصل به ولا أعرفه .

فرديبه : عن طريق وسيط .. من كان الوسيط ؟

مينو : (**صائحا فى حدة**) ما هذا يا جنرال فرديبه ؟ أتريد أن تتهمنى ؟

فرديبه : معاذ الله .

مينو : إنك استدرجتنى حتى جعلتنى على صلة بالسير سيدنى سميث .

فرديبه : أنت الذى ذكرت اسمه . أنسيت ؟

مينو : ذكرت اسمه لأقول إنه وهو الذى كان متحمسا لعقدها

لم يوقع عليها ، ولذلك توقعت أنهم سينقضونها .

فرديه : معذرة لقد أخطأت فهم ما تريد .

مينو : والآن فهمت ؟

فرديه : نعم .

(تدخل جاكلين وفرنسواز فتتبادلان التحية مع الحاضرين) .

جاكلين : استوحشنا وحدنا فى البيت، فجئنا نسأل عن الأخبار .

فرديه : اطمئنا . الأخبار طيبة .

مينو : بلغنى أنكما تتناوبان فى خدمة الجنرال كليبر .

فرانسواز : نعم .. يوم علىّ ويوم على جاكلين .

مينو : يا له من رجل محظوظ .

جاكلين : يجب أن تعلم يا جنرال مينو أننا متزوجتان .

مينو : أعلم ذلك وأعلم أنكما تخدمانه لأنه غير متزوج .

جاكلين : بل لأنه القائد العام يا جنرال مينو .

فرانسواز : وخدمة القائد العام تعتبر خدمة للدولة .

مينو : نعم . نعم . هذا ما أردت أن أقوله . لكى يتفرغ القائد العام لمهام منصبه .

جاكلين : الواقع أننا جئنا لنطمئن على زوجينا أيضا لأنهما يقاتلان الآن فى الميدان .

مينو : اطمئنا فسيعود الثلاثة بإذن الله سالمين .

(يتضاحك الحاضرون) .

جاكلين : إنك لتحسن النكتة يا جنرال مينو مع أنهم قالوا إنك أسلمت .

مينو : ومن قال لكما إن الإسلام يمنع النكتة ؟

فرانسواز : هل حقا أنك ما أسلمت إلا من أجل الحب ؟

مينو : ما رأيكما ؟ ألا يستحق الحب ذلك منى ؟

جاكلين : فى رأيى أنه يستحق ذلك .

فرانسواز : وفى رأيى أنه يستحق أكثر من ذلك .

(يتضاحكون) .

صوت : **(من الخارج)** مدام فردييه .

بلانش : هذا صوت السيدة زبيدة **(تنطلق لاستقبالها وتخرج) .**

مينو : ادخلى يا زبيدة .

(تعود بلانش ومعها زبيدة وعليها الملاءة والبرقع) .

زبيدة : بونجور يا جنرال فردييه .

فردييه : بونجور يا مدام مينو .. تفضلى .

بلانش : سنجلس نحن النساء على حدة **(تتنحى بزبيدة جانبا فى الرواق)** زينب . جاكلين . فرانسواز . تعالين .

فرانسواز : **(تتمتم)** وعلام هذه التفرقة ؟

جاكلين : اسكتى . هذه العادة عندهم .

(تنضم زينب وجاكلين وفرانسواز إلى بلانش وزبيدة) .

مينو : هذا الحجاب ما أسخفه ! لم أستطع أن أقنعها بتركه .

فرديبه : معذرة . لا يمكن أن تتركه إلا إذا تحدت الناس جميعا كما فعلت زينب .

مينو : كان بونابرت يقول إن هذا الحجاب ليس من الإسلام فى شىء .

فرديبه : يا جنرال مينو . نصدق شيوخ الأزهر أم نصدق بونابرت ؟

مينو : سمعت أن بعض شيوخ الأزهر وافقوه على رأيه .

فرديبه : دعنا من هذا نحن الآن وحدنا فدعنا نلعب الشطرنج . (**يسحب صندوق الشطرنج**) .

مينو : لا مانع . أنا كليبر وأنت الصدر الأعظم .

فرديبه : كلا أنت الصدر الأعظم وأنا كليبر .

مينو : لماذا ؟

فرديبه : لأنى لا أريد أن يهزم كليبر .

مينو : أتظننى لا أجيد اللعب ؟

فرديبه : بل أخشى أن تنهزم لى .

مينو : عمدا ؟

فرديبه : نعم .

مينو : (**غاضبا**) إنك تتهمنى .

فرديبه : (**مستدركا**) مجاملة لى .

مينو : (**يعود إلى الرضا**) أنا لا أجامل فى اللعب . تهيأ الآن ..

احم صاحبك من الهزيمة .

(يلعبان الشطرنج) .

(يدخل على الرشيدى ، فيتلفت حوله) .

الرشيدى : تلعبان الشطرنج . لا ينبغى أن أقطع عليكما اللعب . سأنضم إلى تلك الحلقة التى لا تلعب **(ينضم إلى حلقة النساء)** .

(تتركز الإضاءة على الجانب الذى فيه النسوة) .

فرانسواز : أنت يا هذا تقعد هناك مع الرجال .

بلانش : دعيه يا فرانسواز .

فرانسواز : إذن فلماذا قمنا من هناك ؟

بلانش : هذا أخو السيدة زبيدة .

جاكلين : أخوها ؟ غير معقول .

زبيدة : نعم .. هذا أخى .. السيد الرشيدى .

جاكلين : ليس بينكما أى شبه .

زبيدة : هو أخى من جهة الأم .

فرانسواز : أخوك أنت وحدك ، فما الذى خلطه بنا ؟

بلانش : نحن غير متحجبات يا فرانسواز . هى وحدها المتحجبة وهذا أخوها لا تحتجب عنه أفهمت ؟

فرانسواز : الآن فهمت .

زينب : كان ينبغى عليه مع ذلك أن يجلس مع الرجال هناك .

الرشيدى : فيم هذا الصدود يا زينب ؟ أنا ما جئت هنا إلا من أجلك

أنت .

زينب : عليك أن تعلم أن هذا مقر القيادة العامة ولا يصلح لمغازلاتك .

الرشيدى : انتهزت هذه الفرصة لأتقدم لخطبتك فى حضور الجنرال مينو وصهرى وزبيدة أختى .

زينب :.ما هكذا تكون خطبة النساء المحترمات .

الرشيدى : أنت خلعت الحجاب وصرت مثل النساء الفرنسيات .

زينب : حتى النساء الفرنسيات لا يقبلن هذه الطريقة .

الرشيدى : أتجالسين الرجال وتحادثينهم وترفضين مجالستى أنا من دونهم ؟

زينب : أنا لا أجالس إلا الرجال المهذبين .

الرشيدى : لقد أردت أن أخطبك من نفسك على عادة الفرنسيين إكراما لك ، فأما إذ رفضت فلأخطبنك من أبيك على عادة أولاد العرب .

زينب : أنا ولية أمرى إن كنت لا تعلم .

الرشيدى : وأبوك أليس له سلطان عليك ؟

زينب : لو كان له سلطان علىّ لما استطعت أن ترانى الآن .

(يظهر رجل أعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

الأعمى : معذرة يا أهل المكان .. السيد محيى الدين موجود عندكم ؟

زينب : (**تنهض إليه**) شيخ على .

الأعمى : سيدتى زينب !

زينب : محيى الدين خرج وسيعود ، هل عندك من أخبار .

الأعمى : نعم يا سيدتى . انهزم الأتراك فى المطرية وفر قائدهم ناصف باشا ، وقبله فرّ قائدهم الآخر نصوح باشا .

الجميع : (**يهتفون فرحا ما عدا مينو وعلى الرشيدى وزبيدة**) : برافو .

مينو : والصدر الأعظم يوسف باشا ماذا فعل ؟

زينب : أجبه يا شيخ على . هذا الجنرال مينو يسألك ؟

الأعمى : الصدر الأعظم لم اسمع عنه شيئا . هل لى أن أنصرف يا سيدتى ؟

زينب : إذا شئت .. مع السلامة .

(**يخرج الأعمى**) .

مينو : أتصدقون هذا الأعمى ؟

فرديه : هؤلاء من أتباع الجوسقى لا تكذب أخبارهم أبدا .

مينو : هل شهدت المعركة ؟

فرديه : عندهم طريقتهم الخاصة فى نقل الأخبار من واحد إلى واحد على التتابع .

(**يدخل جندى فرنسى فيؤدى التحية العسكرية للجنرالين**) .

فرديه : ماذا وراءك ؟

الجنرال : حدث خطير يا سيدى الجنرال . القائد التركى نصوح

باشا دخل العاصمة فى جماعة من الفرسان وزعموا أنهم هزموا الفرنسيين ، وأخذوا يحرضون الناس علينا نحن المرابطين فى العاصمة .

فرديه : انطلق إلى الجيزة وأخبر الجنرال زايوتشك ليكون على استعداد .

الجنرال : سمعا يا سيدى الجنرال . (**ينطلق خارجا**) .

مينو : أسمعتم ؟ كيف تصدقون ذلك الأعمى .

فرديه : سيدى القومندان هذا النبأ الأخير يقتضى أن تنطلق إلى المحافظة لتوجه رجالك إلى ما يجب عليهم أن يعملوه .

مينو : أنا تركت وكيلى برتلمى هناك .

فرديه : برتلمى ليس هو القائد القومندان .

مينو : صدقت .. أنا القومندان . زبيدة يا عزيزتى عندك أخوك . يا سيد على اعتن بأختك (**يخرج**) .

(**ينتحى على الرشيدى بزبيدة جانبا ويتجمع الباقون فى جانب**) .

فرديه : (**يقترب من زينب**) ماذا ترين يا زينب ؟ أى الخبرين نصدق ؟

زينب : لا تعارض بينهما . لعلهم دخلوا القاهرة بعدما انهزموا فى المعركة .

فرديه : حقا هذا محتمل . (**يتحرك ليخرج**) .

بلانش : إلى أين يا عزيزى ؟

فردييه : سآمر رجالى بتحصين المكان وإقامة المتاريس حوله والاستعداد للدفاع (**يخرج**)

(**تغيب بلانش لحظة فى البهو ثم تعود بحقيبة كبيرة**) .

فرانسواز : ماذا فى هذه الحقيبة ؟

بلانش : حقيبة المستشفى فيها الأدوية والضمادات والأربطة .

فرانسواز : (**فى ذعر**) للجرحى والمصابين ؟

بلانش : لا تخافى .. على سبيل الاحتياط فقط .

فرانسواز : لو بقينا فى البيت يا جاكلين لكان أسلم .

جاكلين : أنت لا تفهمين . هنا آمن .

(**يتركز الضوء على الجانب الذى فيه زبيدة وأخوها**)

الرشيدى : اسمعى كلامى .. ودعينى أوصلك إلى بيتك .

زبيدة : إنهم يقولون هنا آمن . ألم تسمع ؟

الرشيدى : هنا آمن لهم هم ولكن ليس آمن لنا .

زبيدة : لماذا ؟

الرشيدى : نصوح باشا لن يمسنا بسوء .

زبيدة : ما يدريك ؟

الرشيدى : أنا على اتفاق معه .

زبيدة : (**مستنكرة**) على اتفاق معه ؟

الرشيدى : صه . هيا بنا ننصرف . لا تدعيهم يرتابون بنا .

زبيدة : لكن ..

الرشيدى : (**يأخذ بيدها**) لا ترددى . (**يتهيآن للخروج**) .

بلانش : إلى أين ما مدام مينو ؟

الرشيدى : سأوصلها إلى بيتها .

بلانش : لكن هنا آمن لها .

الرشيدى : أمر الجنرال مينو لا نستطيع أن نخالفه (**يخرجان**) (**يعود الجنرال فرديه**) .

فرديه : أين السيدة زبيدة وأخوها ؟

بلانش : انصرفا الساعة .

فرديه : (**يقترب من بلانش وزينب**) فى نفسى من هذا الرشيدى شىء .

بلانش : من أثر ما قاله السيد محيى الدين ؟

فرديه : نعم . من يدرى ؟

زينب : ترى أين محيى الدين الآن ؟

محيى الدين : (**يظهر من عطفة الرواق يلهث كأنما فرغ من جرى طويل**) هأنذا يا زينب بين يديك .

زينب : (**تراع ولكن تتجلد**) أين كنت ؟ هل سمعت بخبر نصوح باشا ؟ الله . ماذا برأسك ماذا أصابك ؟

محيى الدين : لا شىء .. جرح بسيط .

بلانش : (**تسرع إلى حقيبتها فتتولى تضميد الجرح**) أرنى يا سيدى .

محيى الدين : سيدى الجنرال مرهم بالاستعداد للدفاع عن القيادة العامة .

فردييه : قد فعلت .

محيي الدين : أحسنت .

فردييه : ما الخبر يا محيي الدين ؟

محيي الدين : الثورة فى كل مكان . جموع كبيرة من العامة يتنادون بالجهاد فى سبيل الله .

زينب : بل فى سبيل الشيطان . خدعهم نصوح باشا باسم الدين والدين منه براء .

فردييه : لكن كيف بدأت ؟

محيي الدين : بدأت فى خان الخليلى من الأتراك والمغاربة الذين هناك ، وكنت عند باب الأزهر أحذر الناس من الانخداع بأضاليل نصوح باشا وجماعته من الأتراك والمماليك . وبدأ الناس يصغون إلىّ لولا أن أقبل الجنرال يعقوب بفيلقه لا أدرى كيف انشقت عنهم الأرض فأخذوا يهاجمون المسلمين ويستفزونهم فى الأحياء المجاورة ، كلما فرغوا من حى انتقلوا إلى حى آخر . فصاح الناس فى وجهى . النصارى يقتلون فى المسلمين وأنت تمنعنا من الجهاد .. لنقتلنك يا كافر . وأخذوا يرموننى بالحجارة فأدركت حينئذ أن الزمام قد أفلت ففررت منهم وجئت لأنذركم .

فردييه : ألم تر ذلك التاجر الإنجليزى مرة ثانية ؟

زينب : الذى اسمه ردستون ؟

محيى الدين : كنت حريصا أن أراه ولكنى لم أجد له حسا .

زينب : اختفاؤه هذا يؤكد أن له يدا فى الأمر .

محيى الدين : ولم أجد حسا لعلى الرشيدى كذلك .

زينب : كان هنا معنا .

محيى الدين : متى ؟

زينب : منذ قليل وخرج ليوصل أخته زبيدة إلى دارها .

فرديه : أنا بدأت أشك فيه .

محيى الدين : ولم تصنع معه شيئا ؟

فرديه : لا يصح أن تغضب الجنرال مينو فى شىء لا برهان لنا عليه .

زينب : ربما يكون الجنرال مينو نفسه ...

فرديه : كلا .. غير معقول .

زينب : أليس هو ضد الجنرال كليبر ويرى نفسه أحق بالقيادة العامة منه ؟

فرانسواز : يا سيدى الجنرال أراكم تتهامسون دوننا .

جاكلين : إذ كنتم لا ترغبون فى بقائنا ..

فرديه : أوه كلا .. بل يجب أن تبقيا معنا لتكونا فى أمان ، ولكن حديثنا كان فى أمور خاصة لا شأن لكما بها .

(تسمع حركة من الخارج ثم يدخل الجنرال فريان)

فرديه : جنرال فريان . أهذا أنت ؟ (**يتعانقان**) من ساحة المعركة ؟

فريان : نعم .

فردييه : منتصرين أم منهزمين ؟

فريان : بل منتصرين انتصارا ساحقا ونحن نطارد فلولهم الآن فى كل مكان .

فردييه : فما الذى جاء بك من دون الآخرين ؟

فريان : كنت أطارد ناصف باشا حتى دخل القاهرة فانضم إلى الثوار .

فردييه : والجنرال كليبر ؟

فريان : ذهب يطارد الصدر الأعظم صوب بلبيس .

فردييه : اجلس .. استرح قليلا .

فريان : كلا .. سأرى ماذا فعل غريمى ناصف باشا . (**يهم بالخروج ثم يرتد**) . معذرة .. من رأيى يا جنرال فردييه أن تقصى السيدات من هنا ، فإن الثوار ستوجه أعنف هجومها على مقر القيادة (**يخرج**) .

فردييه : ماذا ترين يا عزيزتى بيانكا ؟

بلانش : كلا لا أتركك وحدك أبدا .

فرانسواز : ونحن ماذا نصنع ؟

فردييه : كما تحبان . إن شئتما بقيتما معنا وإن شئتما أرسلت معكما من يوصلكما من الجنود .

جاكلين : سنبقى .

فرانسواز : ربما يكون بيتنا أسلم يا جاكلين .

جاكلين : كلا سنكون وحدنا هناك ، وخير لنا أن نموت فى الصحبة من أن نموت فى الوحدة .

فرانسواز : على مسئوليتك يا جاكلين .

جاكلين : كلا .. كل واحدة منا على مسئوليتها هى .

محيى الدين : وأنت يا زينب ما رأيك لو أوصلتك إلى دار والدتك ؟

فرديه : هذا لا شك أفضل لك يا زينب .

بلانش : أجل ستكونين هناك فى أمان تام .

زينب : كلا لا أبرح هذا المكان أبدا .

بلانش : إن كان من أجلنا يا زينب فأنت فى حل .

زينب : كلا ليس من أجلكم بل من أجل أمتى وبلادى . أريد أن أجاهد هنا لعلى أستطيع أن أبين للناس الخطأ الذى وقعوا فيه .

محيى الدين : الناس فى المعمعان لا يميزون بين الخطأ والصواب ولا سيما العامة .

زينب : فانطلق أنت إلى الخاصة عسى أن يقنعوا العامة . اذهب إلى العلماء والزعماء وأرباب الجاه والنفوذ ليبصروا الناس بالحقيقة ويحذروهم من الوقوع فى هذه المكيدة ، وينهوهم عن الاشتراك فى هذه الفتنة الكبرى ، ويقولوا لهم إنهم سيكونون وقودا لها وأن الأتراك والمماليك سيتفرجون ويضحكون ، وسيمدون أيديهم فى نهاية الأمر إلى الفرنسيين ويلقون التبعة كلها على الشعب

المسكين .

محيى الدين : (**يتهيأ للخروج**) حبا وكرامة يا زينب .

زينب : (**تشيعه**) محيى .

محيى الدين : نعم .

زينب : حافظ على نفسك .

محيى الدين : سأفعل يا زينب .. من أجلك .

زينب : (**تقبل رأسه**) هل يؤلمك هذا الجرح بعد ؟

محيى الدين : لم يعد يؤلمنى بعد هذا البلسم الذى وضعته عليه ، ولكن يؤلمنى جرح آخر يا زينب .

زينب : لا تكن طماعا يا رجل . اذهب . انطلق . فى أمان الله .

(**يخرج محيى الدين**) .

بلانش : لماذا تعذبين نفسك يا زينب وتعذبينه معك ؟

زينب : لست أفهم ما تعنين .

بلانش : بل تتجاهلين .

زينب : أتجاهل ماذا ؟

بلانش : كنت تودين لو ارتميت بين ذراعيه .

زينب : هو فى شغل عنى وأنا فى شغل عنه .

بلانش : ما أحسبه يقوم بهذه الأعمال إلا من أجلك .

زينب : إنها بلاده كما هى بلادى .

(**جموع الثوار يقبلون وتتعالى أصواتهم من بعيد**) .

فرانسواز : ما هذه الضوضاء ؟

جاكلين : هذه جموع الثوار .
فرانسواز : أنت السبب يا جاكلين .
جاكلين : لا تحاولى أن تلقى اللوم علىّ .
فرانسواز : هل نستطيع أن نهرب الآن ؟
جاكلين : الآن هيهات . إلا إذا أردت أن تتخلصى من حياتك .
زينب : أعطنى بندقية يا جنرال فردييه .
فردييه : ماذا تصنعين بها ؟
زينب : سأقاتل بها معكم . سأطلق الرصاص على هؤلاء الأتراك والمماليك .
فردييه : تحسنين إطلاق الرصاص ؟
زينب : كل أتباع الجوسقى مدربون على استعمال السلاح .
فردييه : ما كنت من أتباعه .
زينب : صرت اليوم من أتباعه .

(يناولها بندقية)

بلانش : أعطنى أنا أيضا .
فردييه : خذى (**يناولها بندقية**) .
بلانش : (**لفرانسواز وجاكلين**) وأنتما ؟
جاكلين : نحن لا نعرف كيف نستعمل السلاح .
فرانسواز : لا أحد علمنا ذلك .
الأصوات : (**تتضح**) قاتلوا أعداء الله الفرنسيس .

(تسمع طلقات الرصاص من الجانبين)

فرديه : إلى أين يا زينب .

زينب : سأصعد إلى السطح .

فرديه : جنودنا فى السطح .. لا يصح أن تكونى معهم .

زينب : أريد أن أخاطب الجماهير .

فرديه : خطر عليك . ألا يصيبوك برصاصهم .

زينب : يجب أن أسمعهم صوتى . (**تخرج**) .

فرديه : (**يصيح لرجاله**) كفوا عن الضرب ريثما تقول السيدة زينب كلمتها للجماهير (**ينقطع إطلاق الرصاص ويسمع صوت زينب تتخلله همهمات الاستنكار**) .

زينب : يا بني وطني . أيها المسلمون . لا يخدعنكم نصوح باشا وعصابته . إنهم فروا من الميدان منهزمين وزعموا لكم أنهم انتصروا على الفرنسيين . كيف تقاتلون قوما يريدون الجلاء عن بلادكم من أجل قوم يريدون أن يستعبدوكم ويستذلوكم من جديد ؟ أيها المسلمون . إن هؤلاء الأتراك والمماليك ليسوا من الإسلام فى شيء ، وإنما اتخذوه شعارا زائفا ليعودوا إلى ما كانوا عليه من ظلم وفجور . يا أولاد العرب هذه فرصتكم لتستردوا حرية العرب وكرامة العرب .

أصوات : (**مع أصوات الحجارة وهى تلقى عليها**) اسكتى يا صديقة الفرنسيس . اسكتى يا خليعة بونابرت . اقتلوا الفاجرة . اقتلوا الكافرة .

(تخرج بلانش منطلقة ثم تعود بزينب والدم يسيل على وجهها) (تعود طلقات الرصاص من جديد) .

فردييه : **(لبلانش وهي تضمد جرح زينب)** إصابتها خطيرة ..؟

بلانش : ضربة حجر فوق الحاجب . الحمد لله إذ لم يصب عينها .

فرانسواز : ألا خوف علينا يا جنرال ؟

جاكلين : إنهم يريدون اقتحام السور .

فردييه : سآمرهم الآن بإطلاق المدافع . ستحصدهم حصدا .

زينب : أرجوك يا جنرال فردييه .. لا توجهوا المدافع إلى جموع الشعب . وجهوها إلى الأتراك والمماليك لعل الشعب حين يرى ذلك ينفض عنهم .

فردييه : كيف نميز بينهم ؟

زينب : الراكبون على الخيل هم الأتراك والمماليك .

فردييه : لكن هؤلاء لا يتقدمون الصفوف بل يتترسون وراء جموع الشعب .

زينب : بقدر الإمكان يا سيدى . بقدر الإمكان **(تصوب بندقيتها فتضرب)** هأنذا قتلت واحدا منهم .

(يعطى فردييه إشارة البدء فتنطلق المدافع من كل جانب) .

(يهتز المبنى من طلقات المدافع فترتاع فرانسواز وجاكلين وتضعان أصابعهما فى آذانهما) .

(فرديبه يتحرك من مكان إلى مكان ليعطى أوامره)

(بلانش تصوب بندقيتها وتضرب)

زينب : (**تتمتم**) ترى أين أنت الآن يا محيى الدين ؟!

(ستار)

الفصل الثانى

نفس المنظر السابق فى بيت الألفى بك ولكن بعد أن ظهرت عليه آثار التهديم والترميم من جراء الثورة السابقة .

فى الممر شبه خيمة نصبها العمال ليستريحوا فيها ويستظلوا من الشمس .

الوقت : منتصف النهار من يوم ١٤ يونية سنة ١٨٠٠

(يرفع الستار فنرى مينو وعلى الرشيدى جالسين على الأرض تحت الخيمة وهما يدخنان النرجيلة وأحد العمال يمونها لهما بالجمر) .

مينو : متى تفرغون يا عبده من هذه الترميمات ؟

عبده : بعد شهر إن شاء الله .

مينو : بعد شهر ! هذا كثير .

عبده : البيت كدنا نفرغ من ترميمه ، ولكن يبقى علينا بناء السور كله من جديد .

مينو : أنت على هؤلاء العمال كلهم ؟

عبده : نعم .. المهندس بروتان عينني مشرفا عليهم . اسمح لى . سأرى ماذا يصنعون هناك .

مينو : تفضل .

الرشيدى : لا تذهب بعيدا يا عبده لتسمعنا إذا احتجنا إليك .

عبده : لن أذهب بعيدا . سأسمعك إذا ناديتنى . (**ينسحب**) .

الرشيدى : (**يتلفت حوله**) لن تقيم فى هذا البيت إذن يا سيدى الجنرال إلا فى ١٤ يوليه .

مينو : ١٤ يوليه ؟

الرشيدى : بعد شهر من اليوم . نحن اليوم فى ١٤ يونيه .

مينو : هذا إذا نجح الرجل فى مهمته .

الرشيدى : سينجح بإذن الله .

مينو : قلت لى مرة إنه شاب ضعيف البنية ضئيل الحجم .

الرشيدى : لكنه قوىّ القلب بالإيمان .

مينو : أواثق أنت من ذلك ؟

الرشيدى : كل الثقة . ولا سيما بعد ما صعدت معه إلى المقطم ورأيت منه ما رأيت .

مينو : ماذا رأيت منه ؟

الرشيدى : أظننى قد حدثتك به من قبل .

مينو : ما أذكر أنك حدثتنى بشىء عن المقطم .

الرشيدى : عجبا ! يخيل لى أننى فعلت .

مينو : كلا .. أنت واهم .. ما خطبك ؟

الرشيدى : والله لا أدرى ما خطبى ؟ لا بد أن عقلى أصابه شيء .

مينو : هذا من التوتر . أنا أيضا عندى شيء مما عندك .

الرشيدى : اليوم إن شاء الله ينتهى كل شيء .

مينو : حدثنى عن المقطم .

الرشيدى : صحبته ذات ليلة فصعد بى إلى مسجد مولانا الشيخ عمر بن الفارض فصلينا العشاء ، ثم بات يتهجد طول الليل حتى الفجر وهو يدعو الله ويبكى ويقول : رب هب لى قوة لأقتل هذا الجبار العنيد وأنقذ المسلمين منه

مينو : وبقيت أنت ساهرا طول الليل ؟

الرشيدى : لا .. غلبتنى عينى فنمت وصحوت عند الفجر فوجدته قائما على حاله ، فأدركت أنه ما من قوة فى الأرض تستطيع أن تقف فى سبيله .

مينو : حقا هذا حديث عجيب . (**يسمع حركة فيضطرب**) ناد عبده ليحضر لنا الجمر .

الرشيدى : (**مناديا**) عبده .. يا عبده .

عبده : (**صوته**) نعم .

الرشيدى : الجمر للنارجيلة .

عبده : (**صوته**) حاضر .

الرشيدى : الشقراء يا سيدى الجنرال .

مينو : انتظر حتى أداعبها قليلا .

الرشيدى : لا يصح يا سيدى الجنرال .

مينو : من باب التسلية فقط .

فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟

مينو : أنت لا تعرفين .

(**تصعد فرانسواز إلى الرواق فتستقبلها بلانش الحسن وزينب**) .

فرانسواز : (**تظهر**) جنرال مينو . ماذا تصنع هنا ؟

مينو : كما ترين . أنفث أنفاس الحب .

فرانسواز : لمن ؟

مينو : لمن ؟ إلا لشقرائى الجميلة . تفضلى . اجلسى .

فرانسواز : أين ؟ على الأرض ؟

مينو : على حِجرى إن شئت .

فرانسواز : ويقولون عليك إنك أسلمت .

مينو : من قال لك إن الإسلام يمنع من تذوق فى الحسن وإكرامه ؟

فرانسواز : ألا تخاف من زوجتك العربية أن تضربنى وتضربك ؟

مينو : اطمئنى . هذا أخوها يحرسنا . (**يضحك الثلاثة**) .

فرانسواز : أنا صاعدة .

مينو : انتظرى .

فرانسواز : ماذا تريد ؟

مينو : خبرينى لماذا أنت شقراء وشقيقتك سمراء ؟

فرانسواز : أوه .. قد أخبرتك غيرة مرة . أمنا سمراء وأبونا أشقر .

مينو : وأين شقيقتك .

فرانسواز : ذهبت إلى مسكن القائد العام فى الجيزة . اليوم نوبتها هى .

مينو : وتذهب إحداكما كل يوم إلى الجيزة ؟

فرانسواز : نعم إلى أن ينتهى ترميم هذا البيت .

مينو : وبعد ترميمه ؟

فرانسواز : ستجىء معنا .

مينو : وترضين يومئذ عنى ؟

فرانسواز : جنرال مينو .

مينو : اسمعى يا فرانسواز . لا حاجة بى إلى السمراء فحسبى زبيدة زوجتى وأنا تعوزنى الشقراء فقط .

فرانسواز : كلا .. ابحث لك عن شقراء غيرى .

مينو : لماذا ؟

فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟

مينو : أنت لا تعرفين ؟

(تصعد فرانسواز إلى الرواق فتستقبلها بلانش وزينب) .

بلانش : أهلا وسهلا كنا ننسق أثاث البيت فى الداخل .

زينب : هل تحبين أن تساعدينا ؟

فرانسواز : بكل سرور . (**ينسحبن داخل البهو**) .

الرشيدى : هذا محيى الدين . ماذا جاء به اليوم ؟

مينو : لا شأن لك بمحيي الدين . ابتعد عن طريقه خيرا لك .

الرشيدى : كيف وهو ينافسنى فى حب زينب

مينو : وابتعد أيضا عن زينب .

الرشيدى : كيف وأنا أعشقها ؟

مينو : اعشق لك واحدة أخرى .

الرشيدى : قلبى لا يعشق غيرها .

مينو : لا تجعل محيي الدين غريمك فيتعقب حركاتك ، فإنى أرى فى عينيه شكا كلما نظر إلىّ أو نظر إليك..

(يظهر محيي الدين فيومئ بالتحية لمينو والرشيدى ويصعد إلى الرواق حيث تستقبله زينب) .

محيي الدين : زينب . ماذا يصنع هذا الرشيدى تحت ؟

زينب : أظنه يدخن النرجيلة مع زوج أخته .

محيي الدين : هل لاحقك اليوم بغزله السخيف ؟

زينب : وما أهمية ذلك يا محيى ؟

محيي الدين : لا أكتمك يا زينب أننى بدأت أغار عليك منه .

زينب : أجننت يا محيى ؟ ما هذا السخف ؟

محيي الدين : لقد بلغنى أنه خطبك من أبيك .

زينب : ليفعل ما بدا له فأنا ولية أمرى .

محيي الدين : فى وسعك أن تقطعى كل هذا بكلمة صغيرة منك .

زينب : ما خطبك يا ابن عمى .. أين ذهب حلمك واتزانك ؟

محيى الدين : لم يبق لى حلم ولا اتزان .

زينب : أنت إذن لا تحبنى .

محيى الدين : إن لم يكن هذا حبا .. فكيف يكون الحب ؟

زينب : لو كنت تحبنى حقا لهمك ما همنى وشغلك ما شغل بالى .

محيى الدين : وهل بقى لى من شغل غير ذلك ؟

زينب : فاثبت إذن على حالك .

محيى الدين : إلى متى .

زينب : إلى أن تنكشف عن بلادنا وأمتنا هذه الغمم المتلاحقة .

محيى الدين : وأنى لها أن تنكشف ؟

زينب : إذا حققنا ذلك الهدف الكبير .

محيى الدين : إنشاء جيش الشعب ؟

زينب : نعم .

محيى الدين : سيطول انتظارنا إذن يا زينب .

زينب : فلننتظره فإنه أمر يستحق الانتظار .

محيى الدين : لكن العمر لا ينتظر .

زينب : نحن بعد فى مقتبل الشباب .

محيى الدين : والشباب نفسه لا ينتظر .

زينب : واجبنا يا محيى الدين ليس لنا أن نتخلى عنه .

محيى الدين : وحقنا فى الحياة بل حق الحياة علينا يا زينب ، هل لنا أن ننكره ؟

زينب : نحن لا ننكر حق الحياة بل ننشد الحياة الأسمى .

محيى الدين : تلك نهاية الحياة .

زينب : بل بدايتها .

محيى الدين : الحياة الأسمى لا تكون إلا هناك فى الآخرة .

زينب : بل تكون أيضا هنا فى هذه الدنيا .

محيى الدين : هيهات !

زينب : قد حققها لنا آباؤنا من قبل . حياة العزة والكرامة والحق والعدل .

محيى الدين : (**كأنه يسمع حسا من بعيد**) كليبر .

زينب : أجل . (**يتحركان إلى أقصى المسرح**) لا بد أن نكلمه اليوم .

محيى الدين : لا خير يرجى منه .

زينب : لا ينبغى أن نيئس .

محيى الدين : إنه سيصدر أمره اليوم بإعدام البشتيلى .

زينب : هذه فرصة طيبة لنناقشه فى القضية من جديد .

(يتركز الضوء على الخيمة ومينو والرشيدى يدخنان فى انسجام وإذا صوت غليظ يسمع فجأة فيهبان واقفين فى حركة لا شعورية) .

الصوت : قفوا.قفوا فى احترام لموكب القائد العام .

مينو : اللعنة . ما لنا وقفنا ؟

الرشيدى : من الرهبة .

مينو : أنا جنرال مثله .

الرشيدى : دعنا نجلس ثانية .

مينو : كلا . قد رآنا كُليب البر .

الرشيدى : كليب البر !

مينو : هذا اسمه العربى .

(يظهر كليبر ماشيا فى شموخ ومعه فرديبه والمهندس بروتان فيومئ بالتحية لمينو فى غير احتفال ، ثم يصعد الثلاثة إلى الرواق حيث تستقبلهم بلانش وزينب ومحيى الدين وفرانسواز) .

الرشيدى : أرأيت إلى جبروته ؟

مينو : صه . هذا الجبروت فى صالحنا لأنه سينفى عنا كل شبهة .

الرشيدى : كليب البر . هذا اسم عربى حقا .

مينو : أتدرى من سماه كذلك ؟

الرشيدى : من ؟

مينو : البشتيلى .

(يصعدان إلى الرواق فينضمان إلى الآخرين ، ويجلس مينو قريبا من كليبر) .

كليبر : أحضروا المجرم .

(يظهر اثنان من الحرس ويسوقان مصطفى البشتيلى وهو مكبل بالحديد حتى يقفا به أمام كليبر) .

كليبر : أنت مصطفى البشتيلى ؟

البشتيلى : نعم .

كليبر : أين اختبأت طوال هذه المدة ؟

البشتيلى : فى مدينة القاهرة .

كليبر : عند مَن من أهل القاهرة ؟

البشتيلى : لست خائنا فأخبرك بأسماء من آوونى ؟

كليبر : أرأيت اليوم كيف لم تستطع أن تفك منى يا كلب ؟

البشتيلى : أعترف يا سيدى أن حاسة الشم عندك أقوى .

مينو : (**تند منه ضحكة فيكبتها**) معذرة يا سيدى الجنرال . هذا حشاش والحشاشون بارعون فى النكت المضحكة .

كليبر : (**ينظر شزرا إليه ثم يلتفت إلى البشتيلى**) أيها الوغد .

البشتيلى : لا تغضب منى . هو الذى فسرها هذا التفسير السخيف .

مينو : لا تحاول أن تتنصل من هذا المعنى فقد صرحت به فى كتابك الذى وقع فى أيدينا ، إذ تقول فيه : كليب البر دعانا إلى الصلح فأبينا .

البشتيلى : أنا قلت إن كليبر .

مينو : بل قلت إن كليب البر .

البشتيلى : لعلى أخطأت فى كتابة اسمه يومذاك .

مينو : كلا بل قصدت التصغير . كليب : أى كلب صغير .

البشتيلى : ما ذنبى أنا يا سيدى إذا كان هذا هو اسمك الذى سموك به من قبل أن تجىء إلى مصر ؟

كليبر : كلب صغير . سترى الآن كيف يكون انتقامى .

البشتيلى : يا سيدى الجنرال قد انتقمت منى ومن أهل بلدى بما فيه الكفاية .

كليبر : كلا ما رأيتم بعد شيئا .

البشتيلى : فى بولاق النار التهمت الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والقصور والدور وكل شىء .

كليبر : أنت كنت السبب . أنت الذى جلبت الخراب والدمار على بولاق .

البشتيلى : بل كان المماليك والأتراك هم السبب فى كل ما حل بنا ، فقد خدعونا وأوهمونا أولا أنكم أنتم الذين نقضتم المعاهدة وأبيتم إلا البقاء فى البلاد ولذلك خرجتم لقتالهم فى عين شمس ، ثم أوهمونا ثانيا أنهم هزموكم فى الميدان وأقبلوا للقضاء على حاميتكم فى العاصمة .

كليبر : وصدقتم هذه الأكاذيب والأراجيف ؟

البشتيلى : صدقناها فى أول الأمر ، ولما بدأنا نكتشف الحقيقة كنتم قد اتفقتم معهم علينا وباعونا لكم بعد ما أثارونا عليكم ، فاشتد غضبنا عليهم وأردنا أن ننتقم منهم فإذا أنتم تحمونهم منا وتحرقون بلدنا بالحطب الذى أرسله لكم مراد بك فى السفن ، وتدعوننا إلى التسليم فأبينا

ذلك الذل المهين وآثرنا أن نموت كراما أجمعين .

كليبر : لكنك آثرت أن تبقى بعدهم يا جبان .

البشتيلى : آثرت أن أبقى لأقاتل الأتراك والمماليك وأقاتلكم .

كليبر : فسأختار لك الآن أشنع ميتة .

البشتيلى : افعل ما بدا لك فإنما هى ميتة واحدة .

كليبر : (**للحرس**) احصوا من بقى من أهل بولاق ممن يعرفون هذا الرجل الأقرب فالأقرب ، ثم اجمعوهم فى ميدان عام فمروهم أن يضربوه بعصيهم ونبابيتهم حتى يموت .

مينو : يا سيدى الجنرال هذه قسوة لا داعى إليها ، وستثير الناس عليك .

كليبر : اسكت أنت .

مينو : لقد كان سلفك العظيم بونابرت يكره أن يستفز مشاعر الناس .

كليبر : اللعنة . دعنى من بونابرتك . (**للحرس**) هيا خذوه .. نفذوا ما أمرتكم .

الحرس : سمعا وطاعة . (**يسوقون البشتيلى حتى يخرجوا به**) .

فردييه : سيدى الجنرال لا أريد أن أناقشك فيما حكمت به على البشتيلى جزاء ما جنت يداه ، ولكن الكلام الذى قاله ينطوى على كثير من الصدق والصراحة ، فعلينا أن نتدبره لنفهم حقيقة ما حدث ذلك اليوم فنعالج الأمور على بصيرة . إن أهل القاهرة كانوا معذورين فيما حدث

فقد كنا نحن أنفسنا نصدق ذلك الإرجاف الذى أشاعه نصوح باشا وجماعته حين دخلوا القاهرة .

مينو : هب أننا انهزمنا حقا فى الميدان ، فهل يليق بأهل القاهرة أن يثوروا على حاميتنا فيها إلا إذا كانوا متواطئين مع الأتراك والمماليك على تسليمنا أسرى حرب للإنجليز ؟

فردييه : الأتراك والمماليك هم الذين تواطأوا مع الإنجليز على ذلك . أما أهل البلاد فقد كانوا يكرهون أن يعودوا إلى حكم الأتراك والمماليك لولا أننا نحن الذين أمضينا عليهم ذلك وأبرمناه فى شروط المعاهدة .

كليبر : ما كان فى وسعنا إلا أن نبرم ذلك فى شروط المعاهدة لأن مصر تعتبر ولاية عثمانية .

فردييه : إذن فليس لنا أن نلوم المصريين إذ ثاروا على حاميتنا ذلك اليوم نزولا على أمر العثمانيين الذين أوهموهم أننا انهزمنا فى الميدان وأنهم كانوا هم المنتصرين .

مينو : ماذا يريد الجنرال منا أن نفعل ؟ أن نعتذر للمصريين عما أصابهم منا فى الأرواح والأموال ؟

فردييه : كلا إن الاعتذار لا يفيدهم ولا يفيدنا شيئا ، ولكن علينا أن نحول دون وقوع ذلك مرة أخرى فى المستقبل .

كليبر : كيف ؟

فردييه : إذا نحن وافقنا على إنشاء جيش الشعب .

مينو : عجبا لك يا جنرال فردييه . لقد ثار المصريون علينا

وليس لديهم جيش ، فكيف إذا صار لهم جيش مدرب ؟

فرديه : لو كان لهم جيش مدرب لما استطاع الأتراك والمماليك أن يحملوهم على الثورة بنا ونحن نريد الجلاء عن بلادهم .

مينو : لكنا قد عدلنا عن فكرة الجلاء وأدركنا وجوب بقائنا فى هذه المستعمرة الجميلة .

فرديه : هذا رأيك أنت وليس رأينا ولا رأى القائد العام .

مينو : إن قائدنا الشجاع قد فتح القاهرة من جديد ، فلا يعقل أن ينزل عن هذا الفتح العظيم الذى توَّج هامته بأكاليل من المجد والفخار .

فرديه : إن كنت تظن أن القائد العام قد غير رأيه فى الجلاء ، فأنت مخطئ .

مينو : أنا واثق من ذلك .

كليبر : يا جنرال مينو . إنك تتجه بوجهك صوب الشرق وأنا اتجه بوجهى صوب الغرب ، ولا يمكن أن نتفق فى هذا الأمر أبدا .

مينو : يا لها من خسارة كبيرة على فرنسا إذا ضاعت منها هذه المستعمرة الجميلة ، إذا احتلتها بعدنا دولة أوربية أخرى .

فرديه : إنشاء جيش الشعب هو الضمان الوحيد دون هذا الخطر

العتيد .

كليبر : ضمان للمصريين ولكن خطر علينا .

مينو : لا شك فى ذلك .

فرديبه : بل ضمان لنا ولهم على السواء . إن هذا الجيش سيكون مدينا لنا بوجوده ، فليس من المعقول أن يخوننا أو يغدر بنا .

كليبر : ليس فى هذه البلاد معقول وغير معقول . يحاربونك لأنك لا تريد أن تجلو عن بلادهم ، ويحاربونك لأنك تريد أن تجلو عن بلادهم .

فرديبه : هذا كله سيزول إذا صار الأمر فيها إلى يد أهلها ، ولن يتحقق ذلك إلا بإنشاء جيش الشعب .

كليبر : كلا لا أستطيع أن أعتمد إلا على فرقة الأروام التى اختبرناها اليوم فى جزيرة الروضة .

فرديبه : هذه فرقة أجنبية .

كليبر : وفرقة الجنرال يعقوب التى لا تقل عنها إخلاصا وكفاية ؟

فرديبه : هذه تعمل على التفرقة بين المسلمين والمسيحيين فى البلاد ، وقد كان لها دور كبير فى استفزاز المسلمين ذلك اليوم حتى وقع بين الفريقين ما يؤسف له .

مينو : أما أنا فأرى أن تحل هذه الفرق كلها لأن فى وجودها استفزازا لشعور أهل البلاد .

كليبر : كلا لا غنى لنا عن هاتين الفرقتين ، بل سأنشئ فرقا أخرى على هذا الغرار .

مينو : إنى أشفق عليك يا جنرال كليبر من سياسة التحدى والجبروت التى تتبعها ، فمنذ أخمدت الثورة وأنت تعاملهم بقسوة لا نظير لها .

كليبر : لا سبيل إلى إخضاعهم إلا بهذه القسوة .

مينو : ماذا تفيد من أمر الناس بالوقوف على أقدامهم فى الطريق كلما مر موكبك ؟

كليبر : لأستذلهم وأشعرهم بقوتى وجبروتى .

مينو : وكيف تفرض عليهم غرامة قدرها اثنا عشر مليون فرنك ؟ من أين لهم ذلك ؟

كليبر : ليس يعنينى أن أعرف من أين .

مينو : يقول المثل : إذا شئت أن تطاع فأْمر بما يستطاع .

كليبر : احتفظ بأمثالك هذه لنفسك .

مينو : والسيد السادات الذى يعتقد فيه العامة ويبجلونه ، كيف تتحداه وتلزمه بدفع مائة وخمسين ألف ريال أى ثمانمائة ألف فرنك ؟

كليبر : هو الذى حرض الناس على الثورة .

فردييه : ليس لدينا برهان على ذلك إلا ما زعمه لنا مراد بك ، ومراد بك يكره السادات ويحقد عليه من قديم لأنه كان يعارضه ويغلظ له فى الكلام فلا يعتد بشهادته .

مينو : حتى إن ثبت أنه كبير المحرضين على الثورة لا يصح أن يعامل تلك المعاملة المهينة ، حيث ينام على التراب ويتوسد بالحجر ويضرب بالعصى أمام زوجته وهى تبكى وتصيح .

كليبر : قد أمرناهم فنقلوا زوجته من عنده إلى بيت الشيخ الفيومى .

مينو : بعد ما أروها الويل وأشعلوا نيران الحقد فى نفوس الناس عليك . هذا الرجل الذى كان يتحاشاه بونابرت العظيم .

كليبر : لا شأن لى ببونابرت .

مينو : ثم لم تكتف بذلك حتى تحديت المسلمين تحديا صارخا . كيف منعتهم من ركوب البغال وأبحت ذلك للنصارى ؟ ما هذه التفرقة فى المعاملة ؟ ما هذا الظلم الواضح ؟ ألا تخشى يا جنرال كليبر على نفسك ؟ ألا تخشى علينا جميعا من انتقامهم الفظيع ؟

كليبر : هذه سياستى وأنا أعرف ماذا أصنع .

مينو : اشهدوا يا قوم أننى قد حذرته وأنذرته وأديت له واجب النصيحة .

(يدخل الجنرال داماس)

داماس : مدام فرديه . إلام تحبسين القوم هنا عندك ؟

بلانش : كلا أنا ما حبستهم يا جنرال داماس ، ولكنهم كانوا

يتحاورون فى السياسة فأنساهم موعدك .

داماس : ألم يذكرهم الجوع ؟ لعلك قدمت لهم شيئا فتعللوا به .

بلانش : لا لم يذوقوا هنا شيئا غير الكلام .

داماس : هلموا إذن فأتموا حواركم على المائدة .

مينو : كلا لا نريد كلاما فى السياسة على المائدة .

(ينهضون جميعا فيخرج كليبر وبروتان وداماس فى المقدمة ، بينما ينتحى مينو بالرشيدى جانبا وينتحى الآخرون جانبا آخر وتقف فرانسواز وحدها) .

مينو : ما رأيك فيما قلت لكليبر اليوم ؟

الرشيدى : كلام رائع . تغطية جميلة .

مينو : اذهب انت الآن إلى سبيلك .

الرشيدى : إلى اللقاء (**يخرج**) .

مينو : فرانسواز . تعالى معى .

فرانسواز : أنا لست مدعوة .

مينو : (**يأخذ بيدها**) أنت معى فى صحبتى . لن نفترق أبدا منذ اليوم . (**يخرجان**) .

فردييه : ما رأيكم فيما قلته اليوم ؟

زينب : بوركت . لقد عبرت عمّا فى نفوسنا أحسن تعبير .

محيى الدين : وأحسنت الدفاع عن مشروع جيش الشعب .

بلانش : وكنت يا عزيزى كأنك محام بارع .

فردييه : للكلام بقية . يجب أن تعودا بعد الغداء لنواصل الحديث

مع الجنرال كليبر .. لن نتركه حتى يقتنع . إلى اللقاء

(يخرج هو وبلانش) .

زينب : أرأيت إلى خبث الجنرال مينو ؟ كان ينهاه عن القسوة ليستفز الحاضرين من القسوة .

محيي الدين : أجل . إنى لا أشك مطلقا أنه هو والرشيدى يسعيان معا فى تدبير أمر مريب .

زينب : أنت لا تفكر إلا فى الرشيدى .

محيي الدين : لا شك عندى أنه هو همزة الوصل بين مينو وبين ذلك التاجر الإنجليزى فى رشيد .

(يخرجان)

(يظهر على الرشيدى فى الحى وحده وقد تنكر فى زى أحد عمال البناء وهو يتلفت كأنه ينتظر قادما) .

الرشيدى : **(يتمتم)** ترى ماذا أخره ؟ صلاة العصر فى الأزهر ؟ ماذا عليه لو ترك صلاته اليوم فى سبيل هذا الـ ... جهاد فى سبيل الله . ها هو ذا .. الحمد لله .

(يبرز سليمان من خلال الأشجار)

سليمان : السلام عليكم .

الرشيدى : وعليكم السلام ورحمة الله .

سليمان : **(يدخل الخيمة)** ما عرفتك فى هذا الزى إلا بصعوبة .

الرشيدى : رأيت أن أتنكر أفضل لى ذلك .

سليمان : أجل سيظنوننى صديقا لأحد عمال البناء الذين يعملون

معنا . لكن أين هم الآن ؟

الرشيدى : سرحوهم بعد الظهر كعادتهم يوم السبت ، وهذا من حسن الحظ .

سليمان : بل من تدبير الله يا على .. إن الله عز وجل قد هيأ لنا كل شىء ..

الرشيدى : صدقت يا سليمان هذه مشيئة الله .

سليمان : حدثنى الآن عن الخطة . هل تغير منها شىء ؟

الرشيدى : لا .. كما هى . هم الآن يتغدون على مائدة الجنرال داماس .

سليمان : هناك فى ذلك البيت عند نهاية الحديقة ؟

الرشيدى : نعم .

سليمان : وبعد الغداء يعودون إلى هنا ؟

الرشيدى : نعم .

سليمان : كيف إذن يمكننى أن أصطاده وحده ؟

الرشيدى : لا تخف . سيجتهد صاحبى فى تدبير ذلك ما أمكنه .

سليمان : وفق الله صاحبك للخير .

الرشيدى : معك الخنجر ؟

سليمان : معى .

الرشيدى : أرنيه . (**يخرجه سليمان من بين ثيابه**) هذا صغير .

سليمان : لكنه حاد قاطع .

الرشيدى : إنه ضخم كبير .

سليمان : الله أكبر يا على من كل كبير .

الرشيدى : خبرنى يا سليمان لماذا لم ترض أن تأخذ منى شيئا تستعين به ، وقد عرضت عليك ذلك أكثر من مرة ؟

سليمان : لأنى لم أحتج إلى شيء .

الرشيدى : إنك أخبرتنى أن ياسين أغا أعطاك أربعين قرشا فقط عند سفرك من غزة .

سليمان : نعم .

الرشيدى : وقد صار لك اليوم شهر فى القاهرة ، فمن أين تنفق على نفسك ؟

سليمان : أظننت أنى آخذ من أحد غيرك ؟ كلا يا أخى . إنى مقتصد قليل النفقة .

الرشيدى : ما كان لك أن ترفض ما عرضته عليك .

سليمان : ماذا أصنع به ؟

الرشيدى : توسع به على نفسك وتتغذى جيدا لتقوى على هذا الوحش .

سليمان : إن قوتى بالله يا رشيدى ، وليس بجسدى هذا الواهن .

الرشيدى : كأن أحدا فى القاهرة لم يطلع على سرك ؟

سليمان : لا أحد إلا أربعة من زملائى المجاورين فى الأزهر .

الرشيدى : وى ! لقد أهلكتنا وأهلكت نفسك .

سليمان : لا تخف . إنهم جميعا من أبناء غزة .

الرشيدى : ولو .

سليمان : أنا لم أخبرهم . كانوا يعلمون به من قبل .

الرشيدى : من أين ؟

سليمان : من ياسين أغا نفسه .

الرشيدى : كيف ؟

سليمان : أرسل إليهم كتابا من غزة ليشتركوا معى فى هذه المهمة.

الرشيدى : فى قتل سارى عسكر ؟

سليمان : نعم .. إن لم أنجح أنا فى قتله قام أحدهم بذلك ، ولكنى سأنجح بإذن الله . إنهم أقوى منى جسدا ولكنى أقوى منهم إيمانا . إنهم يخافون ويترددون .

الرشيدى : وأنت لا تخاف شيئا ؟

سليمان : ماذا أخاف ؟ أأخاف من دخول الجنة ؟ أما الدنيا فحسبى منها أن سيكف الظلم عن والدى المسكين ويحسن معاملته إذا أنا قتلت هذا الطاغية .

الرشيدى : أنت شرطت عليهم ذلك ؟

سليمان : نعم وليتنى ما فعلت .

الرشيدى : لماذا ؟

سليمان : أخشى أن يكون فى ذلك ما يحبط عملى . أردت أن أستفتى بعض العلماء فى ذلك ولكنى خشيت أن يكشفوا السر .

الرشيدى : أتريد أن تسمع رأيى فى هذه المسألة ؟

سليمان : نعم .. أفتنى يا أخى من فضلك .

الرشيدى : إنك أضفت إلى الجهاد فى سبيل الله البر بوالدك ، فكيف يحبط الله عملك ؟

سليمان : (**يقبل رأسه فرحا**) أحسنت يا أخى .. الآن اطمأن قلبى . خبرنى يا أخى أواثق أنت أن صهرك عبد الله مينو هو الذى سيلى قيادتهم بعد الطاغية ؟

الرشيدى : لا شك فى ذلك فهو أكبر قوادهم سنا وأقدمهم فى الخدمة العسكرية ، ثم أنه قومندان العاصمة .

سليمان : ومخلص هو فى إسلامه ؟

الرشيدى : فيم كل هذه الأسئلة ؟ هو على كل حال خير منى ومن كثير من المسلمين .

سليمان : لا تؤاخذنى .. أردت أن أزداد طمأنينة . خذ يا أخى إذا تكرمت .

(**يخرج له بعض النقود**) .

الرشيدى : ما هذا ؟

سليمان : الذى بقى معى من النقود .

الرشيدى : أنت أحوج إليه منى .

سليمان : أنت ستعيش بعدى . تصدق به إن شئت .

الرشيدى : ألا تبقيها معك عسى أن تنجو بعد المهمة .

سليمان : هيهات !

الرشيدى : لعلك تستطيع أن تهرب .

سليمان : كلا لا أريد أن أهرب .

الرشيدى : لماذا ؟

سليمان : لئلا يظن هؤلاء الكفرة أن إخواننا المصريين هم الذين فعلوها ، فينالهم من البطش والتنكيل فوق ما نالهم .

الرشيدى : كأنك تريد أن تعترف .

سليمان : لا تخف يا رشيدى فلن أعترف على أحد من المصريين أبدا .

الرشيدى : وتعترف على غيرهم ؟

سليمان : إذا اضطررت إلى ذلك .

الرشيدى : لكن اعترافك على غير المصريين قد يفضى إلى كشفنا نحن .

سليمان : ثق يا أخى أن الله سيلهمنى القوة والصبر .

الرشيدى : هل تعرف ردستون ؟

سليمان : من ردستون هذا ؟

الرشيدى : تاجر إنجليزى كان يعمل فى رشيد .

سليمان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أنا لا أعرف أحدا من هؤلاء الكفرة .

الرشيدى : هذا رجل موال للعثمانيين .

سليمان : لأن قومه الإنجليز تحالفوا مع العثمانيين .

الرشيدى : أجل .

سليمان : لعنة الله عليهم أجمعين . هؤلاء الكفار الأجانب كلهم سواء . كلهم أعداء للمسلمين ولبلاد المسلمين .

الفرنسيس والإنجليز وغيرهم .

الرشيدى : وى ! هذا صاحبى قد خرج من الوليمة . استعد يا سليمان . اختف بين تلك الأشجار .

سليمان : (**ينهض**) ادع لى بالتوفيق يا على .

الرشيدى : وفقك الله وأيدك بروح من عنده .

(يختفى سليمان ويختفى الرشيدى أيضا ، ولكنه يظهر بعد قليل وقد عاد إلى زيه الأصلى)

(يظهر الجنرال مينو ومعه فرانسواز يتأبط ذراعها)

مينو : أنت هنا يا رشيدى ؟

الرشيدى : فى انتظاركم . ماذا أصنع ؟ لست مدعوا إلى الوليمة فتغديت فى السوق ثم عدت .

(يظهر فردييه وبلانش)

بلانش : اصعدوا يا سادة ماذا تنتظرون ؟

مينو : بعدكما .. أنتما صاحبا البيت .

بلانش : عفوا . البيت ليس بيتنا . هذا مقر القيادة العامة .

مينو : أنتما المشرفان عليه .

بلانش : ريثما يتم ترميمه . تفضلى يا فرانسواز .

(تصعد ومعها فرانسواز)

فردييه : تفضلوا (**يصعد ومعه مينو والرشيدى**) .

(يخرج فردييه وبلانش إلى داخل البهو . ويتهامس مينو والرشيدى فى ناحية ثم تظهر زينب فيتصدى لها

الرشيدى ، ويتجه مينو ناحية فرانسواز ليجلس معها على مقعدين متجاورين) .

الرشيدى : زينب .

زينب : (**بغير اكتراث**) ماذا تريد ؟

الرشيدى : نظرة منك تسعد قلبى .

زينب : وأنا أريد منك معروفا .

الرشيدى : على العين والرأس . اقترحى يا حبيبتى ما تشائين .

زينب : أن تتركنى وشأنى .

الرشيدى : لقد خطبتك إلى أبيك فوافق .

زينب : صحيح ؟ إنى أهنئك .

الرشيدى : لكن بقى أن توافقى أنت .

زينب : هذا ما لا سبيل إليه .

الرشيدى : من أجل بونابرت أم من أجل محيى الدين ؟

زينب : بل من أجلك أنت .

الرشيدى : ماذا يعيبنى عندك ؟

زينب : ماذا لا يعيبك عندى ؟

الرشيدى : سوف تندمين يا زينب .

(يظهر محيى الدين)

الرشيدى : سترين .

(يحاول ستر هزيمته بالانضمام إلى مينو وفرانسواز)

(تمضى زينب إلى محيى الدين فيقفان فى ركن

يتهامسان) .

مينو : (**ممازحا كأنما ليتغلب على القلق الخفى المسيطر عليه**) اسمع يا صهرى العزيز . لا تحاول أن تسرق منى بلانش كما حاولت أن تسرق زينب من محيى الدين .

الرشيدى : (**يجاريه فى المزاح لنفس الغرض**) هذه ليست لى ولا لك . هذه للقائد العام .

مينو : بل هى منذ اليوم لى . أليس كذلك يا شقرائى الحلوة ؟

فرانسواز : ما خطبك يا جنرال مينو ؟ أنسيت أننى متزوجة ؟

مينو : صحيح . أنت لزوجك أولا ثم لى .

(**يعود فردييه وبلانش فينضمان إلى محيى الدين وزينب حيث يتحادثون**)

(**تسمع صيحة مزعجة من جانب الحديقة يرتج لها السامعون**) .

الصيحة : إلى أيها الحارس . إلى أيها الحارس .

بلانش : هذا صوت الجنرال كليبر .

مينو : (**يتصنع الهدوء والتجاهل**) ماذا يريد من الحارس ؟

سليمان : (**صوته**) خذها منى يا عدو الله .

كليبر : عليكم بالمجرم . القاتل .

(**ينطلق فردييه ومحيى الدين خارجين**)

سليمان : (**صوته**) وخذ أنت أيضا .

بروتان : (**صوته**) آى . اقبضوا على القاتل .

مينو : هذا صوت بروتان .

(**ينطلق هو والرشيدى خارجين**) .

سليمان : (**بأعلى صوته**) أنا سليمان الحلبى . قتلت كليبر .

جئت من حلب . وقتلت كليبر . أنا سليمان الحلبى .

(**تقف النسوة الثلاث كأنما شلت حركتهن من الرعب**) .

(**يدق النفير العام وتتجاوب أصداؤه فى كل مكان**) .

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر كما فى الفصل الأول
(يرفع الستار عن زبيدة وعندها زينب)

زبيدة : كلا يا زينب لقد ضقت ذرعا به .

زينب : يجب أن تصبرى يا زبيدة .

زبيدة : لقد صبرت حتى عيل صبرى . ألا ترين كيف أصار البيت إلى معرض للجوارى من كل لون .

زينب : تغارين عليه ؟

زبيدة : كلا بل أشمئز من سلوكه .

زينب : لا تنسى يا أختى أن هذا حال الأزواج عندنا إذا صاروا من ذوى الغنى واليسار . حتى علماؤنا وشيوخنا يفعلون ذلك .

زبيدة : لكنه ليس من رجالنا ولم ينشأ عندنا .

زينب : أراد أن يتشبه بهم ويتطبع بطباعهم . احمدى الله على أنه اقتصر على الجوارى ولم يتزوج عليك .

زبيدة : أراك تدافعين عنه .

زينب : لا يصح أن نلومه هو وحده . يجب أن نصلح هذا النظام

كله من أساسه حتى يكون للمرأة عندنا حقوقها مثل الرجل .

زبيدة : أنا لا أريد أن أكون مثله . أريد فقط أن يحترم شعورى .

زينب : لن يحترم شعورك أبدا ما لم تكونى مثله .

زبيدة : هذا طلب بعيد المنال يا زينب .

زينب : علينا أن نطالب به فإن لم يتحقق فى جيلنا هذا ففى الأجيال القادمة .

زبيدة : وما شأنى أنا بالأجيال القادمة ؟

زينب : لا يستحق أن يعيش فى الحاضر من لا يهتم بالمستقبل .

زبيدة : وكيف يهتم بالمستقبل من يستغرقه همّ الحاضر .؟ ألا ترين ما أنا فيه ؟ لقد بليت بهذا الرجل بلاء شغلنى عن كل شىء .

زينب : هل أكرهك أحد على الزواج منه ؟

زبيدة : لا .

زينب : ألم تقبليه بمحض إرادتك ؟

زبيدة : بلى .

زينب : فتحملى تبعة اختيارك بكل شجاعة وصبر .

زبيدة : لكننى خدعت فيه .

زينب : هو اختيارك على كل حال .

زبيدة : هبينى صبرت على جواريه . فكيف أصبر على خليلته فرانسواز ؟

زينب : هذا دأب هؤلاء القوم . قلما يخلو أحدهم من خليلته .

زبيدة : إلى جنب زوجته ؟

زينب : نعم . لقد تزوجني بونابرت وكانت خليلته مدام فوريه .

زبيدة : لكن بونابرت لم يتخذ الجوارى والسرارى . أما هذا فقد جمع عيوب رجالنا إلى عيوب رجالهم .

زينب : من حقك على كل حال أن تطرديها من بيتك فأنت صاحبة البيت .

زبيدة : قد فعلت فغضب منى وهاجرنى .

زينب : تمسكى بحقك ولا تبالى بغضبه .

زبيدة : لكنه صار يتصل بها خارج البيت .

زينب : اخرجى معه ورافقيه أينما ذهب .

زبيدة : هذا يصحبها إلى ملهى التيفولى .

زينب : اصحبيه إلى الملهى .

زبيدة : والحجاب .

زينب : اخلعيه عنك .

زبيدة : كلا يا زينب .. لا أستطيع .

زينب : ماذا يمنعك ؟

زبيدة : خوف الملامة .

زينب : لن يلومك أحد . أنت زوج القائد المسلم وهو معك .

زبيدة : وأهلى يا زينب وأقاربى ؟

زينب : ما شأنهم بك ؟

زبيدة : سيعتبرون ذلك فضيحة لهم وعارا عليهم

زينب : لا تبالى بهم فلن يقدروا أن يمسوك بسوء .

زبيدة : كلا لا أستطيع يا زينب ، لا أستطيع .

زينب : إذن فاصبرى على حالك وتجاهلى ما يكون من زوجك خارج البيت .

زبيدة : كيف أتجاهل شيئا أنا على يقين منه ؟

زينب : لكى تعيشى فى طمأنينة وسلام .

زبيدة : لا سلام ولا طمأنينة إلا إذا طلقنى .

زينب : بعد ما صار لك ابن منه ؟

زبيدة : لا يهم .

زينب : وإذا أخذه منك أتصبرين ؟

زبيدة : كلا لن أدعه يأخذ منى سليمان أبدا .

زينب : لن تقدرى أن تمنعيه .

زبيدة : يا ليتنى ما تزوجته .

زينب : قد تزوجته وانتهى الأمر .

زبيدة : ما كنت أعلم أنه بهذا السوء .

زينب : فى وسعك أن تجدى فيه خيرا فتشعرى بالرضا ، إذا ظفرت منه بشيء فى خدمة بلادك .

زبيدة : تعنين إنشاء جيش الشعب ؟

زينب : نعم .

زبيدة : ما خطبك يا أختى ؟ ألم أقل لك مرارا إنه لا يقبل هذه الفكرة أبدا ويعدها خطرا عليه وعلى جيشه ؟

زينب : حاولى مرة أخرى . قولى له إن هذا الجيش سيكون سياجا له دون هجوم الإنجليز من الشمال وغارات العثمانيين من الشرق .

صوت : (**من الخارج**) زبيدة . زبيدة .

زبيدة : نعم . هذا أخى .

الرشيدى : هل عندك أحد ؟

زبيدة : عندى زينب البكرى .

الرشيدى : أنعم وأكرم . (**يدخل**) أهلا وسهلا بالجمال والكمال . أى حظ سعيد ساقنى اليوم إلى بيتك يا زبيدة !

زبيدة : (**فى شىء من الضيق**) يا على يجب أن تعلم أن زينب صديقتى وأن ما يغضبها يغضبنى .

الرشيدى : سبحان الله وهل قلت شيئا يغضب ؟

زبيدة : هذا الإلحاح عليها بالزواج بعدما رفضتك مائة مرة .

الرشيدى : ما يدريك يا أختى لعلها ترق لى فى المرة الواحدة بعد المائة . أليس كذلك يا زينب ؟

زبيدة : لا تردى . أنا التى سأتولى الرد عليه .

الرشيدى : سبحان الله . أنت لست وكيلتها يا زبيدة .

زبيدة : أنا أكثر من ذلك . أنا صديقتها وأختها الكبرى .

الرشيدى : وأنا أخوك الأصغر .

زبيدة : لا تتعب نفسك . إنها مخطوبة لابن عمها محيى الدين .

الرشيدى : لكنى خطبتها من أبيها ومن أمها فرحبا بى ، ولم يذكر أحد منهما قصتها مع محيى الدين .

زبيدة : أنت تعلم أن العلاقة بينها وبين أبويها سيئة .

الرشيدى : بسبب سفورها وخروجها على التقاليد .

زبيدة : نعم .

الرشيدى : فقد تعهدت لهما إذا تزوجتها أن أعيدها إلى ما كانت عليه .

زبيدة : إلى الحجاب وحياة الحريم .؟

الرشيدى : نعم .. لقد أصبحت اليوم عضوا فى الديوان ، ففى وسعى أن أسكنها قصرا خيرا من قصرك هذا وعندها الخدم والحشم .

زبيدة : ما أصغر عقلك . أوَتظن أن هذا هو ما تريده زينب ؟

الرشيدى : فلتخبرنى ماذا تريد وأنا أحقق لها ما تريد .

زينب : أصادق أنت فيما تقول ؟

الرشيدى : إى والله يا زينب والمصحف الشريف .

زينب : اتركنى إذن وشأنى فلا أنت تصلح لى ولا أنا أصلح لك .

(تدخل إحدى الجوارى)

الجارية : السيد محيى الدين . أتى يسأل عن ابنة عمه .

زبيدة : قولى له يتفضل . (**تخرج الجارية**) .

الرشيدى : لأخطبنها من محيى الدين نفسه .

زبيدة : لا تكن أحمق . (**تنسحب إلى الداخل**) .

الرشيدى : إن لم تنفع الحكمة فربما تنفع الحماقة .

(**يدخل محيى الدين**)

زبيدة : (**صوتها من وراء حجاب**) مرحبا بك يا سيدى محيى الدين . أنت على الرحب والسعة .

محيى الدين : شكرا لك يا سيدة زبيدة . معذرة يا سيد على ، هل أستطيع أن أكلم ابنة عمى على انفراد ؟

زبيدة : (**صوتها**) تعال يا على . اتركها وحدها .

الرشيدى : بعد أن يسمع منى كلمة واحدة .

محيى الدين : هات .

الرشيدى : يا سيد محيى الدين لقد خطبت زينب من أبيها فقبل ، ولكنها هى لم تستجب لرأيه . فزوجنى أنت إياها فأنت وليها الذى تسمع رأيه .

محيى الدين : يا سيد على إن زينب حرة لا سلطان لأحد عليها ، وها هى ذى أمامك فكلمها أنت بنفسك .

الرشيدى : بل تريدها أنت لنفسك ، وسواء لديك أن تسعد عندى أو تشقى عندك .

محيى الدين : (**يتجلد**) سامحك الله ! إنها مشغولة عن الزواج بما هو أهم عندها من الزواج ، ولولا ذلك لتزوجتها أنا من

زمان .

الرشيدى : كلا أنت لا تصلح لها إذ أخذها بونابرت منك دون أن تحتج على ذلك . أما أنا فإنى سأصونها ، ولو عاد بونابرت وأرادها مرة ثانية لقاتلته دونها حتى أموت .

زينب : هذه سماجة لا تطاق ، والله لولا مكان أختك زبيدة عندى لفضحتك .

زبيدة : (صوتها) يا على اتركها خيرا لك .

الرشيدى : قالت إنها ستفضحنى . أريد أن أعرف كيف تفضحنى .

زبيدة : وأنا سأشهد عليك .

زينب : خبرنى أين ذهب ردستون ؟

الرشيدى : من ردستون ؟

زينب : صديقك التاجر الإنجليزى فى رشيد .

الرشيدى : ما يدرينى أين هو ؟

زينب : لعله يعمل الآن جاسوسا للجنود الإنجليزية التى تغزو الإسكندرية .

الرشيدى : أنا لا أعرف عنه شيئا .

زينب : يجب أن تسأل عن صديقك الحميم .

الرشيدى : ماذا أصنع به ؟ لقد كان صديقى فيما مضى حين كنا فى رشيد ، أما اليوم فلا صلة بينى وبينه .

زينب : هو الآن موجود فى القاهرة . ألا تحب أن تلقاه ؟

الرشيدى : كلا شأن لى به .

(يسمع صوت الجنرال مينو قادما من الخارج فينسل الرشيدى خارجا من الباب الخلفى كأنه لا يريد أن يراه) .

زينب : **(بصوت خافض)** أرأيت يا محيى الدين ؟ هذه قرينة جديدة .

محيى الدين : بعد البرهان الواضح .

فرانسواز : **(صوتها)** أخيرا عدت إلى مقر القيادة العامة .

مينو : **(صوته)** صه .

زبيدة : **(صوتها)** أجئت بها مرة ثانية يا عبد الله مينو ؟

(تنسحب زينب ومحيى الدين إلى الجانب الأقصى من الرواق حيث لا يراهما أحد ممن على المسرح) .

(يدخل مينو وفرانسواز من جانب وتدخل زبيدة من جانب آخر) .

زبيدة : يا هذا ماذا جاء بك ؟ ألم أمنعك من دخول بيتى ؟

فرانسواز : هذا ليس بيتك . هذا بيت قائدنا العام الجنرال مينو .

زبيدة : يرضيك يا سيدى أن تتحدانى هكذا فى بيتى ؟ هذه الأفاقة .

فرانسواز : الأفاقة ؟

مينو : فرانسواز ، ما خطبك ؟ لماذا لا تقولين لها الحقيقة ؟ لماذا لا تقولين لها إنك جئت اليوم لتوديعى ؟

فرانسواز : إنها بادرتنى بالإساءة . هذه امرأة لا يمكن التفاهم معها .

زبيدة : وأنا لا أحب أن أتفاهم معك .

فرانسواز : أورفوار جنرال مينو .

مينو : أروفوار فرانسواز .

(**تخرج فرانسواز**)

مينو : ما هذا الذى صنعت ؟ أين آداب اللياقة ؟

زبيدة : آداب اللياقة لا تكون مع أمثالها .

مينو : إنما جاءت اليوم لتودعنى وتنصرف .

زبيدة : إلى متى يودعك الناس كل يوم وأنت لا تتحرك ؟

مينو : (**يستشيط غضبا**) اللعنة . أنت أيضا صرت كليبرية ؟

زبيدة : كليبرية ؟

مينو : هذا ما يقوله الكليبريون عنى .

زبيدة : هم إذن على حق . كان عليك أن تسارع بالسفر إلى الإسكندرية أول ما بلغك ظهور السفن الإنجليزية فى مياهها ، لا أن تتردد وتسوف من يوم إلى يوم .

مينو : (**يلتفت إلى حيث تقف زينب مع محيى الدين**) زينب أنت هنا ؟ كل هذا منك ؟

زينب : منى ؟ ما ذنبى أنا يا سيدى الجنرال ؟

مينو : أنت التى علمتها كل هذا . ما كانت هكذا قبل أن تصادقك .

زينب : يا جنرال مينو كان ينبغي أن تسر إذ نصحتك زوجتك .

مينو : كلا لا حاجة بى إلى نصائحها ولا إلى نصائحك .

ما للنساء وللسياسة ؟

زينب : أتوجه هذا السؤال إلىّ ؟

مينو : نعم .

زينب : ما كنت لأقبل هذا السؤال حتى من والدى فكيف أقبله منك ؟

مينو : لا تدخلى إذن فى شئونى .

زينب : هذه شئون بلدنا لا شئونك .

مينو : قد جعلنا للبلد ديوانا فهو الذى ينظر فى شئونه .

زينب : الديوان الذى جعلت صهرك عضوا فيه ؟

مينو : نعم . لو كان حظلك حسنا لما رفضت الزواج منه .

زينب : يا جنرال مينو لا أسمح لك أن تتدخل فى شئونى الخاصة .

مينو : عجبا . تبيحين لنفسك ما لا تبيحين لغيرك .

زينب : يا جنرال مينو إنى أكلمك فى الشئون العامة لا فى الشئون الخاصة ، وذلك من حقى ومن واجبى .

زبيدة : يا سيدى ألا تسمع أولا ما عندها ، ولك أن تقبل بعد ذلك أو لا .

مينو : عندك شى جديد ؟ هاتى .

زينب : قل له يا محيى الدين بنفسك .

(تنسحب زبيدة إلى حيث تقف وراء حجاب ويتقدم محيى الدين مقتربا من مينو) .

محيى الدين : يا سيدى الجنرال لقد تبين الآن لماذا حرص الإنجليز على

نقض معاهدة العريش .

مينو : لماذا ؟

محيى الدين : ليتاح لهم بعد ذلك أن يحتلوا بلادنا مكانكم .

مينو : ما جئتنى بجديد . هذا ما يردده الكليبريون .

محيى الدين : لا شأن لنا بالكليبريين . ولكن ألا تحب يا جنرال مينو أن تهزم هؤلاء الإنجليز ، وتبطل كيدهم ؟

مينو : هذا ما أعمل من أجله .

محيى الدين : إنك ما ترددت حتى اليوم لملاقاتهم إلا أنك تخشى إذا ما تركت القاهرة أن ينقض عليها العثمانيون من الشرق .

مينو : أجل هذا صحيح .

محيى الدين : فماذا ترى لو كفيناك نحن أمر العثمانيين لتتفرغ جنودكم جميعا لقتال الإنجليز بالساحل ؟

مينو : هيه .. لعلك تعنى تلك الفرق التى أطلقتم عليها اسم جيش الشعب ؟

محيى الدين : نعم .

مينو : كأنكما ما زلتما على صلة بها ؟

زينب : نعم .

مينو : ألم آمر بحل هذه الفرق من قبل ؟

زينب : فى وسعنا أن نجمعها ولكن ليس فى وسعنا أن نحلها .

مينو : نبهتمانى . والله لا يقر لى قرار حتى أقضى عليها فلا يبقى لها وجود .

زبيدة : يا سيدى لم تركب رأسك ؟ ألا ترى اليوم أن بقاءها فى مصلحتك ؟ إنها ستكفيك أمر الأتراك فلا يبقى أمامك غير الإنجليز .

مينو : كلا لا أستعين على أعداء يأتوننا من الخارج بأعداء ينبتون لنا من الداخل .

(يدخل فرديه وبلانش فيتبادلان التحية مع الحاضرين ، وتدخل بلانش إلى حيث تقف زبيدة خلف الحجاب) .

(يتهامس محيى الدين وزينب جانبا كأنهما يتفقان على تدبير خطير) .

فرديه : جئنا نستودع منك يا جنرال مينو .

مينو : متى قررتما السفر ؟

فرديه : الساعة .

مينو : فى هذه الظروف الصعبة ؟

فرديه : فى سبيل العودة إلى الوطن يهون كل شيء .

مينو : هذه مخاطرة .

فرديه : والبقاء هنا أيضا مخاطرة .

مينو : أنت أيضا مع هؤلاء الكليبريين علىّ ؟

فرديه : كلا لا شأن لى الآن بالسياسة . كل ما تريده بلانش وأنا أن نصل إلى فرنسا بسلام .

مينو : ترافقكما السلامة .

فرديه : فرقتى تتمنى لك النصر والتوفيق .

مينو : أنت رجل كريم يا فرديه . ولن أنسى موقفك النبيل منى أبدا . انتظر حتى أحملك رسالة إلى القنصل الأول بونابرت . (**يخرج**) .

(يدنو فرديه من محيى الدين وزينب وتدخل بلانش فتنضم إليهم) .

زينب : لم نستطيع أن نقنعه بخطة جيش الشعب .

فرديه : قد قلت لكما إنه لن يرضى . هذا رجل يشك فينا نحن الفرنسيين فكيف يثق فى المصريين ؟

بلانش : اسمعى يا زينب وأنت يا محيى الدين . لن ندعكما حتى تسافرا معنا . إن كنتما لا تريدان فرنسا فإلى أى بلد آخر فى أوربا .

زينب : شكرا لك يا مدام فرديه لا سبيل إلى ذلك .

بلانش : فى بقائكما خطر عليكما ، وعليك أنت يا زينب خاصة .

فرديه : أجل يا زينب . إن العامة لن يغفروا لك خروجك على تقاليدهم وسيتهمونك بأبشع التهم .

بلانش : لقد أديتما ما عليكما لقومكما وبلادكما ، ولن تقدرا أن تقدما أكثر مما قدمتما ، فانجوا بأنفسكما وعيشا مع الغائبين .

زينب : ماذا ترى يا محيى الدين ؟

محيى الدين : اذهبى أنت معهما يا زينب ، وسأبقى أنا وأواصل الكفاح بالنيابة عنك .

زينب : كلا يا ابن عمى لن أتركك وحدك .

محيى الدين : الخطر عليك يا ابنة عمى أكبر من الخطر علىّ .

زينب : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

(يعود مينو فيسلم لفردييه الرسالة)

فردييه : الوداع يا جنرال مينو .

مينو : الوداع .

فردييه : (**لزينب ومحيى الدين**) إلى أين ؟

زينب : سنشيعكما حتى المركب .

بلانش : وداعا يا زبيدة .

زبيدة : (**صوتها**) وداعا يا بلانش .

(يخرج الأربعة)

مينو : (**ينظر إلى زبيدة مليا وهى كالغاضبة ثم يدنو منها**) زبيدة .

زبيدة : (**لا تجيب**) ...

مينو : أم سليمان .

زبيدة : ماذا تريد ؟

مينو : رضاك .

زبيدة : وهل أبقيت فى قلبى موضعا للرضى ؟

مينو : من أجل هذه الحمقاء فرانسواز ؟

زبيدة : لا يليق أن تجيء بها إلى البيت .

مينو : أظنها لن تجيء إلى البيت مرة أخرى .

زبيدة : وهؤلاء الجوارى اللاتى ملأت بهن البيت ؟

مينو : لا يصح أن تعيش امرأتى دون جوارى يخدمنها .

زبيدة : يخدمننى أم يخدمنك ؟

مينو : يخدمننا معا . يقولون إن هارون الرشيد كان له ألف جارية .

زبيدة : وهل أنت هارون الرشيد ؟

مينو : سأكون أنا سلطان المسلمين يا زبيدة ، وستكونين أنت سلطانة .

زبيدة : تذكر أن بونابرت قد طمع فى ذلك فلم ينجح .

مينو : أنا أصلح لهذا المنصب منه . أنا من بيت عريق وزوجتى من بيت عريق ، وأنا أسلمت وهو ادعى الإسلام ولم يُسلم . ومن محاسن الصدف أن اسمك زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد .

زبيدة : سبحان الله .. الأرض تتزلزل تحت قدميك وأنت تحلم هذه الأحلام .

مينو : لا تصدق هذه الأراجيف . سوف ترين كيف ألقى بالإنجليز فى البحر وأشتت جميع العثمانيين ليموتوا فى الصحراء .

زبيدة : هذه أحلام أخرى .

مينو : زبيدة . لا تدعى زينب تفسدك علىّ .

زبيدة : وما شأنى فى هذا ؟

مينو : إنها تحسدك . تذكرى أنها كانت تطمع أن تكون هى السلطانة .

زبيدة : كان بونابرت يمنيها بذلك ، وقد ذهب بونابرت فنسيته ونسيت أحلامه .

(يدخل الرشيدى يحمل معه صورة كاريكاتورية)

مينو : ما هذا الذى بيدك ؟

الرشيدى : (**يضحك**) هذه صورتك يا سيدى ممتطيا صهوة جواد .

زبيدة : (**تنظر وتضحك**) والجواد فوق ظهر سلحفاة .

الرشيدى : والسلحفاة تسير ببطء نحو الإنجليز .

مينو : (**فى غيظ من ضحكها**) وهذه أنت وابنك سليمان راكبين على جمل .

زبيدة : قاتلهم الله . حتى البرقع لم ينسوه . وما هذه يا ترى ؟

مينو : هذه أوانى مطبخك .

زبيدة : لكنها فى صورة مدافع

مينو : ألم تفهمى ماذا يعنون ؟

زبيدة : بلى فهمت الآن . يعنون أنها مدافعك .

(تضحك ويضحك الرشيدى)

مينو : (**غاضبا**) كفى ! من أين جئت بهذه الصورة ؟

الرشيدى : اخذتها من أحد الجنود يا سيدى .. كانوا يتداولونها بينهم .

مينو : (**ينظر فى الصورة**) مطبوعة فى مطبعة لوكوربيه دى ليجبت . ويل لهم .

(**ينادى**) يا حاجب .

الحاجب : نعم يا سيدى الجنرال (**يدخل**)

مينو : انطلق إلى جريدة لوكوربيه دى ليجبت . قل لهم يحضروا رئيس التحرير والمصورين فى الحال .

الحاجب : هنا يا سيدى الجنرال ؟

مينو : نعم .

(**يخرج الحاجب ثم يعود**)

الحاجب : الجنرال رينييه يا سيدى والجنرال داماس والجنرال لانوس .

مينو : اللعنة . ماذا يريدون ؟ قل لهم يدخلوا وانطلق أنت فى مهمتك .

(**يخرج الحاجب وتنسحب زبيدة إلى الداخل ثم يدخل الجنرالات الثلاثة**) .

الثلاثة : صباح الخير .

مينو : صباح الخير ماذا تريدون .

(**يطبق الصورة ويناولها للرشيدى**)

رينييه : أهذه الصورة الكاريكاتورية ؟

(يضحك ويضحك الآخرون)

مينو : أين رأيتموها ؟

رينييه : متداولة بأيدى الناس فى كل مكان .

مينو : هيه كأنكم من أجلها جئتم . من الذى رسمها منكم ؟

الثلاثة : نحن لسنا رسامين .

مينو : من الذى أوحى بالفكرة ؟

لانوس : أنت .

مينو : ماذا تعنى ؟

لانوس : المعنى واضح .

مينو : لو بقى لديكم شىء من كرامة الجندية لما سمحتم لرجالكم أن يتهكموا بقائدهم الأعلى على هذه الصورة المزرية .

داماس : وهل أبقيت أنت لأحد شيئا من كرامة الجندية ؟

مينو : يا إلٰهى .. ماذا فعلت حتى أستحق منكم هذه الكراهية ؟

داماس : ألا تدرى ماذا فعلت ؟ ألم تعزلنى من منصبى فى الجيش بغير محاكمة ؟

مينو : لأنك اتهمتنى بأنى اشتركت فى قتل كليبر .

داماس : أنا ما زلت حتى اليوم أتهمك ، فحاكمنى إن كنت واثقا فى براءتك .

مينو : أنا لا أريد أن أثير فتنة فى الجيش من أجل تهمة باطلة ليس عليها دليل .

داماس : أكبر دليل عليها أنك ما زلت حتى اليوم تكره كليبر وتنفر من ذكراه ، وتحاول تلطيخ سمعته وتضطهد أصحابه .

مينو : بلى أصحابه هم الذين يضطهدونى ويأتمرون ضدى .

لانوس : إنك لا تدع فرصة للإساءة إلى ذكرى كلسيبر إلا انتهزتها ، حتى سميت ابنك سليمان على اسم قاتله .

مينو : يا قوم أنا سميت ابنى سليمان مراد ، ولم أسمه سليمان الحلبى .

لانوس : هل ضاقت الأسماء عليك فلم تجد غير هذا الاسم ؟

داماس : بل لقد بلغنا أنك تصرح بذلك فى مجالسنا الخاصة ، وتقول إن سليمان الحلبى يستحق أن يقام له تمثال بدلا من الخازوق الذى وضع عليه .

مينو : هذا كذب وبهتان .

داماس : لا تحاول أن تخدعنا . إن أخبارك تصل إلينا أولا بأول .

مينو : قولوا ما شئتم فلن تستطيعوا أن تنكروا الحقيقة البازغة بزوغ الشمس ، وهى أن كليبر إنما قتله غروره وصلفه وتجبره على المصريين وتطاوله على كبرائهم وشيوخهم . وطالما نصحته وحذرته وأنذرته فلم يستمع لنصيحتى .

داماس : أنكرت عليه قسوته على السيد السادات إذ حبسه وغرمه غرامة كبيرة . أليس كذلك ؟

مينو : نعم وأمورا أخرى كثيرة .

داماس : خبرنى لماذا أبقيت السادات فى سجنه بعدما صار الحكم إليك ؟

مينو : ليدفع ما بقى عليه من الغرامة .

داماس : لكنك كنت تنكر على كليبر تحميله تلك الغرامة .

مينو : لم أستطع أن أسقطها عنه لحاجتنا إلى المال .

داماس : ودفع الغرامة التى عليه ؟

مينو : نعم .

داماس : فلم أعدته إلى السجن مرة أخرى ؟

مينو : على سبيل الاحتياط لئلا يحرض الناس علينا فى هذه الأيام العصيبة .

داماس : أنت إذن كاذب إذ تتحدث عن طغيان كليبر وجبروته وأنت تصنع مثله .

رينييه : دعونا يا قوم من هذا كله ولنتكلم فيما جئنا من أجله .

مينو : ماذا بقى عندكم من كلام ؟

رينييه : إلى متى نترك الجنرال فريان يدافع الإنجليز وحده فى الإسكندرية ؟

لانوس : ألم يستنجد بك مرة بعد مرة ؟.

داماس : أما آن لك أن تتحرك بالجيش إليه ؟

مينو : هذا يطلب منى أن اتوجه بالجيش كله إلى الإسكندرية .

رينييه : هو على حق فيما طلب .

مينو : وأترك القاهرة بغير دفاع ليستولى عليها العثمانيون ؟

رينييه : الخطر اليوم على الإسكندرية لا على القاهرة .

مينو : القاهرة هى العاصمة فالخطر عليها أكبر .

رينييه : لقد أضعت تسعة أيام وأنت تتوقع زحف العثمانيين من الشرق ، وتترك سفن الإنجليز تهاجم الإسكندرية ليلا ونهارا وتصليها نارا حامية .

مينو : ما كنت أعلم أن العثمانيين سيتأخر زحفهم حتى اليوم .

داماس : بلى أنت جبان . تريد أن تبقى هنا بالقاهرة لتكون بمأمن من أخطار القتال .

مينو : كذبت .

داماس : هذا دأبك فى كل حين . كل أفراد الجيش يعرفون ذلك .

رينييه : (**فى سخرية خفية**) لو كان قائدنا العام يخشى الموت لأسرع إلى الإسكندرية فرارا من الطاعون الذى انتشر فى القاهرة .

مينو : أجل فهمه يا جنرال رينييه .

داماس : أنت تخاف الإنجليز أكثر من الطاعون ، وتؤثر ميتة الكلاب على ميتة الأبطال .

مينو : يا هذا بأى حق تكلمنى الآن وأنت معزول ؟

داماس : أنا لا أعترف بهذا العزل . فليس لك أن تعزلنى إلا بعد محاكمتى أمام مجلس عسكرى .

(يدخل أحد الجنود فيؤدى التحية العسكرية ثم يناول مينو رسالة) .

رينييه : من الإسكندرية ؟

الجندى : نعم .

مينو : (**كالمتضايق**) انصرف الآن حتى أبعث لك (**يفض الرسالة ويتصفحها**) .

(**يخرج الجندى**)

رينييه : من الجنرال فريان ؟

مينو : نعم .

رينييه : ماذا ينوى ؟

مينو : (**فى اكتئاب**) ينوى أنه لم يستطع أن يصد الإنجليز وأنهم نجحوا فى إنزال قواتهم بالبر

رينييه : ألم نقل لك ؟

لانوس : ماذا أنت صانع الآن ؟

داماس : (**ساخرا**) سيتحصن بجنوده فى القاهرة حتى يمنع الإنجليز من دخولها .

مينو : هذا كل ما تحسنونه فى ساعة الجد .. السخرية .

داماس : وماذا تنتظر منا بعد كل الذى فعلته غير السخرية ؟

لانوس : أنت الذى مكنت الإنجليز من النزول .

مينو : هكذا أنتم دائما معشر الكليبريين . تتنصلون من التبعة التى عليكم وتلقونها علىّ .

داماس : وهذه التبعة أيضا نريد أن تلقيها علينا ؟

مينو : أوَقد نسيتم معاهدة العريش ؟

الثلاثة : ما بالها ؟

مينو : هى التى جرأت الإنجليز علينا وأطمعتهم فى إخراجنا من هذه المستعمرة ، ليجعلوها مستعمرة لهم .

لانوس : تريد أن تقول إن كليبر هو المسئول ؟

مينو : نعم .

لانوس : ولذلك لا تريد أن تواجههم اليوم أو تحاربهم حتى تكون التبعة كلها على كليبر ؟

مينو : كلا . لأتوجهن إليهم وأقاتلنهم .

رينييه : متى ؟

مينو : الليلة .

داماس : وتترك العاصمة ؟

مينو : (**فى امتعاض**) سأترك بها ألف جندى للدفاع عنها .

لانوس : بقيادة من ؟

مينو : بقيادة الجنرال بليار . لا تلومونى . أنا لا أثق إلا فيه .

لانوس : أنا أفضل أن أقاتل الإنجليز معك .

رينييه : وأنا كذلك .

مينو : كلا يا جنرال رينييه . أنت تتوجه إلى بلبيس والصالحية .

رينييه : ماذا أصنع فى بلبيس والصالحية .

مينو : لتصد العثمانيين عن القاهرة .

رينييه : أنت بحاجة إلى وجودى فى الإسكندرية .

مينو : أنا بحاجة إلى وجودك فى بلبيس والصالحية .

رينييه : أنت إذن تريد إبعادى هناك لأنك لا تطيقنى .

مينو : لقد مُررت بكم . لو أنى أرسلت غيرك إلى بلبيس وأبقيتك معى لاعترضت أيضا على ذلك . لا شىء يرضيكم منى أبدا .

رينييه : يا جنرال مينو أنت تعرف أن ما تقوله غير صحيح . إنى أطالب بوجود سائر القواد معك فى معارك الشمال لا بوجودى أنا وحدى .

مينو : سائر القواد ؟

رينييه : نعم .

مينو : ومعهم فرقهم ؟

رينييه : بالطبع .

مينو : ونخلى الصعيد والمراكز الأخرى ؟

رينييه : نعم لا يصح أن نبقيهم مبعثرين فى أرجاء البلاد وأنت بحاجة إليهم فى هذه المعارك الفاصلة .

مينو : أتوافقانه على هذا الرأى ؟

داماس : نعم .

لانوس : هذا هو الرأى السديد .

مينو : كلا لن أخلى الصعيد والمراكز الأخرى أبدا . ما أراكم تبغون إلا أن تتم على يدى الهزيمة .

رينييه : ماذا تقول ؟ أنبغى هزيمة يلحقنا عارها جميعا ؟

مينو : لتؤكدوا بها انتصار كليبر فى معركة عين شمس .

لانوس : كليبر . كليبر . ليس فى ذهنك غير كليبر .

داماس : هذيان القاتل باسم القتيل .

مينو : القاتل هو سليمان الحلبى .

داماس : ليس هو وحده بل له شركاء كثيرون .

مينو : (**صائحا**) كفى . أنا القائد العام . لا أريد أن يجادلنى أحد أو يعصينى أحد . علىّ أن آمر وعليكم أن تطيعوا .

رينييه : التبعة إذن عليك أنت وحدك .

مينو : أجل . التبعة علىّ وحدى .

(تسمع ضوضاء . من الخارج من بعيد)

الثلاثة : ما هذا ؟

مينو : لعلهم جاءوا بالمصورين لأعاقبهم .

داماس : أتعاقبهم على إعلان الحقيقة ؟

مينو : ليتعلموا كيف يحترمون القائد العام .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : يا سيدى الجنرال لم أجد أحدا فى دار الجريدة لا رئيس التحرير ولا المصورين .

مينو : أين ذهبوا ؟

الحاجب : لا أحد يعلم .

مينو : ألم تسأل من هناك ؟

الحاجب : لا أحد هناك . الدار مقفلة .

(تتعالى الضوضاء حتى تقترب)

مينو : ما هذه الضوضاء إذن ؟

الحاجب : لست أدرى يا سيدى الجنرال .

مينو : اخرج فانظر . (**يخرج الحاجب**) .

(تتضح أصوات الجماهير وهى تردد : الجاسوس . الجاسوس) .

(يدخل محيى الدين وزينب فيدهش الحاضرون)

زينب : أيها السادة قد قبضنا لكم على الجاسوس الإنجليزى ردستون .

(يتغير وجه مينو . ويضطرب الرشيدى)

رينييه : أين هو ؟

زينب : أيها الرجال ادخلوا به .

(يدخل ثلاثة من العميان من أتباع الجوسقى يسوقون ردستون وهو مكتف ويدفعونه إلى وسط المسرح ثم ينسلون خارجين كأنهم أشباح) .

(يقترب الرشيدى من مينو ويناوله مسدسا فى خفية) .

مينو : أين وجدتموه ؟

زينب : وجدوه عند القلعة يتجسس .

ردستون : (**يلحظ مينو يصوب المسدس نحوه**) كلا لا تقتلنى

يا جنرال مينو .

لانوس : لا تقتله يا جنرال .

رينييه : انتظر حتى نستنطقه .

مينو : (**يفرغ ثلاث رصاصات فى صدره**) ليس للجاسوس عندنا إلا الموت .

(**يسقط ردستون ميتا على الأرض ويقع ارتباك فى المجلس وتتطلع زبيدة من خلف الحجاب . وينظر بعضهم إلى بعض مبهوتين**).

داماس : الآن انكشفَ الغطاء . الآن اتضح كل شيء :

(ستار)

الفصل الرابـع

فى منزل والدة زينب بحى الجودرية .

جانب من الفناء الداخلى فى وسطه فسقية .

يظهـــر فى الجانب الأيمن من المسرح جزء من الرواق الذى يحيط بالفناء . تمتد به أريكة مكسوة بالمخمل عليها الوسائد والمساند . بابان أحدهما فى أقصى المسرح يؤدى إلى داخل المنزل والآخر فى أدنى المسرح يؤدى إلى الخارج .

الوقت : صباح يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٠١

(عند رفع الستار نرى زينب فى الرواق وأمامها أحد العميان) .

زينب : تكلم الآن يا حافظ لا أحد عندنا .

حافظ : اختطفنا البارحة ثلاثة من عساكر الإنجليز فى الجيزة فقتلناهم .

زينب : عظيم . والجثث أين ألقيتم بها ؟

حافظ : بقرب المعسكر العثمانى .

زينب : هلا ألقيتموها هذه المرة بقرب معسكر المماليك حتى يتهمهم الإنجليز أيضا كما اتهموا الفرنسيين والعثمانيين من

قبل ؟

حافظ : الواقع يا سيدتى أن المماليك لم يكونوا فى خطتنا .

زينب : المماليك أهم لأن الصلات بينهم وبين الإنجليز أوثق .

حافظ : فى المرة القادمة إن شاء الله .

زينب : فى المرة القادمة ؟.

حافظ : نعم .

زينب : وإذا وقع لى شىء يا حافظ .

حافظ : كفى الله الشر .

زينب : يجب أن نواجه الأمور بشجاعة .

حافظ : سنسند الأمر إلى محيى الدين ابن عمك .

زينب : أصبتم .

حافظ : ليس عندنا غيره .

زينب : أوصيكم به خيرا فهو شاب طيب ولا عيب فيه إلا رقته ولينه ودماثة أخلاقه . ليس فيه مضاء شيخكم الجوسقى ولا صرامته ولا دهاؤه ، ولكن ستجدون فيه الإخلاص والتواضع والصبر والإنسانية .

حافظ : اطمئنى فسيجد منا كل احترام وطاعة .

(**يتحرك لينصرف فتشيعه زينب إلى الباب**)

زينب : خذ هذا لأم داود (**تناوله كيسا من النقود**) قل لها أنا فى انتظارها لتزورنى الساعة .

حافظ : سمعا يا سيدتى (**يخرج**) .

(تدخل أم زينب)

أم زينب : زينب . ماذا كان الأعمى يقول لك ؟

زينب : لا شيء . أعطيته شيئا لأم داود وأمرته أن يدعوها لزيارتنا .

أم زينب : والجثث ؟

زينب : سمعت يا أماه ؟

أم زينب : سمعت كل شيء .

زينب : فاكتمي عنا يا أماه .

أم زينب : كل هذا ولا تريدين أن تهربى أو تختبئى منهم ؟

زينب : لا جدوى يا أماه . إنهم جميعا يطلبونني . الفرنسيون والإنجليز والأتراك والمماليك ، حتى أبناء جلدتى المصريون .

أمزينب : ذنبك يا بنتى . تحدَّيْتهم جميعا فألَّبتهم عليك .

زينب : فى سبيل الله يا أماه والله من ورائهم محيط .

أم زينب : حتى محيى الدين ابن عمك لم يسأل عنا اليوم .

زينب : سيحضر بعد قليل .

أم زينب : عادته أن يحضر من أول الصباح .

زينب : ذهب اليوم ليقابل الجنرال الإنجليزى هتشنسون .

أم زينب : ماذا يصنع عنده ؟

زينب : الجنرال الإنجليزى هو الذى دعاه لمقابلته .

أم زينب : لا بد أنه سينتقم منه لتلك الاغتيالات .

زينب : صه .. لم يعلم سرها أحد .

(**يسمع قرع على الباب الخارجي**)

أم زينب : يا حافظ يا حفيظ . انظرى يا لطيفة من ؟

لطيفة : (**تدخل**) السيدة زبيدة .

زينب : (**تنهض لاستقبالها**) أهلا وسهلا . تفضلى يا زبيدة .

زبيدة : (**تدخل حاملة طفلها سليمان مراد**) صباح الخير يا خالتى أم زينب .

أم زينب : صباح النور يا بنتى .. تفضلى .

زبيدة : لا وقت للجلوس . جئت لأستودع منكم . أنا راحلة بعد قليل .

أم زينب : إلى أين ؟

زبيدة : مع الجيش الفرنسى إلى رشيد .

زينب : (**تأخذ الطفل منها**) اجلسى قليلا .

زبيدة : أخى ينتظرنى أمام الباب .

أم زينب : دعيه يدخل .

زبيدة : كلا لا أريده أن يدخل . سأجلس عندكم لحظة (**تجلس**) زينب . أنصتى إلىّ .

زينب : (**تداعب الطفل وتقبله بحنان**) يا حبيبى . ما أحلاه .

زبيدة : دعينا من الطفل . استمعى إلىّ فالوقت ضيق .

زينب : نعم .. ماذا عندك ؟

زبيدة : احزمى ثيابك وأشياءك وتعالى ارحلى معنا إلى رشيد .

زينب : ماذا أصنع هناك ؟

زبيدة : تأمني على حياتك . أنت هنا فى خطر . قد أخذت لك إذنا خاصا .

زينب : ممن ؟

زبيدة : من القائد العام الجنرال بليار .

زينب : هذا سيسلمنى للإنجليز أو للأتراك .

زبيدة : كلا يا زينب . إن من شروط الصلح التى اتفقوا عليها أن لمن شاء من الأهالى المتصلين بالفرنسيين أن يرحل معهم فى أمان .

زينب : يا زبيدة يا أختى العزيزة أترضين لى أن أكون من صنائع الفرنسيين أو حاشيتهم ؟

زبيدة : أرضى لك ما أرضاه لنفسى .

زينب : أنت زوجة قائدهم العام وأم ولده فلا حرج عليك ، ولكنى كنت أسعى لتحرير البلاد منهم ومن غيرهم من الغزاة والمحتلين .

زبيدة : إنهم اليوم بسبيل الجلاء عن البلاد فما عادوا غزاة ولا محتلين .

زينب : كلا يا زبيدة .. إن خرجت معهم اليوم كنت كذلك الخائن الجنرال يعقوب الذى لم يكتف بالخروج معهم حتى أراد أن يكره أبناء ملته الأقباط على الخروج معه ، فثاروا عليه وتركوه .

الرشيدى : (**صوته**) زبيدة . يا زبيدة . لقد تأخرنا . (**يدخل فتنسحب أم زينب**) .

زبيدة : (**غاضبة**) ما هذا ؟ أتدخل هكذا دون استئذان ؟

الرشيدى : أردت أن أسلم على زينب وأتزود بنظرة . هل استطعت أن تقنعيها بالسفر معنا ؟

زبيدة : لا شأن لك . اخرج وانتظرنى بره . إن دخلت مرة أخرى فلن أقوم من مجلسى هذا ولو فاتنى الميعاد .

الرشيدى : حرام والله أن يروح هذا الجمال كله هدرا بأيدى أولئك الأجلاف . (**يخرج**) .

(**تعود أم زينب**)

زبيدة : سامحينى يا زينب . أنا خجلانة من تصرفه .

زينب : لا عليك يا أختى .. ليس ذنبك (**تنظر نحو الباب**) أهلا أم داود . (**تنهض لتستقبلها**) تفضلى يا أم داود . (**تدخل أم داود حاملة طفلا صغيرا هو حفيدها سليمان بن داود فتتبادل التحية مع النسوة الثلاث ثم تجلس**) .

زبيدة : قد آن لى الآن أن أقوم .

أم زينب : كلا .. انتظرى حتى يجىء الشراب .

زبيدة : لا داعى يا خالة .

أم زينب : لا بد أن تشربى عندنا شيئا . الدنيا حر .

(**تدخل الجارية لطيفة بصينية عليها أقداح من شراب**

الورد فيشربن ويشرب الطفلان أيضا) .

زينب : سبحان الله . ما أعجب تصاريف القدر ! كيف جمع اليوم بيننا نحن السلطانات الثلاث . (**تشير إلى نفسها وإلى زبيدة وأم داود**) .

زبيدة : (**تشير إلى أم داود**) الهانم أيضا ؟

زينب : هذه أم داود يا زبيدة . زوجة الشيخ الجوسقى الذى حدثتك عنه .

زبيدة : هى إذن السلطانة الأولى .

زينب : أجل وهذا حفيدها سليمان .

زبيدة : على اسم ابنى .

زينب : وكلاهما كان مرشحا لولاية العهد .

أم زينب : ونسيت الثالث يا زينب ؟

زينب : من ؟

أم زينب : ابنك الذى أسقطتيه .

زينب : (**يظهر فى وجهها الأسى**) صحيح . قتلت ابنى بيدى . لعنة الله على أبيه .

زبيدة : (**تنهض مستأذنة فتعانق زينب وهى تبكى**) أنا لن أنسى أفضالك يا زينب ومواساتك لى فى أحلك ساعات حياتى .

زينب : أرجو لك التوفيق يا زبيدة .

زبيدة : معه ؟ لا أظن يا زينب . إنه رجل أخرق . انظرى كيف

أغضب كبار قواده عليه حتى خسر معركة كانوب برعونته وسوء قيادته ، ثم لم يشأ أن يعترف بهذا الصلح الذى عقده بليار وبقى يقاتل وحده فى الإسكندرية .

زينب : لا تيئسى . سيضطر هو أيضا إلى التسليم عما قريب .

زبيدة : زينب . إنى لأحتقر نفسى حين أنظر إليك . أين أنا منك ؟ أنت فى القمة وأنا فى القاع السحيق . ليحرسك الله يا زينب . (**تحمل طفلها وتخرج**) .

أم داود : أهذه زبيدة الرشيدية التى تزوجت الجنرال عبد الله مينو ؟

زينب : نعم .

أم داود : والطفل ابنها منه ؟

زينب : نعم .

أم داود : طفل حلو .

زينب : ليس أحلى من سليمان بن داود . (**تأخذه من حجر أم داود فتناغيه وتقبله**) ابنها وابنى كلاهما دخيل . أما حفيدك هذا فهو الأصيل .

أم داود : هاتيه لئلا يبول على حجرك . (**تحاول أخذه منها فيمتنع**) .

زينب : لا يريد أن يفارقنى . انظرى إنه يبوسنى .

أم داود : الملعون . رآك أحلى منى فتعلق بك .

(**تضحك النسوة الثلاث**)

أم زينب : وأين أمه يا أم داود ؟

أم داود : طلقها داود من زمان .

أم زينب : لماذا ؟

أم داود : هى التى طلقته فى الحقيقة ، لم تشأ أن تعيش معه بعد وفاة الشيخ .

أم زينب : وتركت ابنها لك ؟

أم داود : تزوجت رجلا آخر فأخذنا ابننا منها .

أم زينب : وداود ابنك ما شغله ؟

أم داود : (**تضحك**) ما شغله ؟

زينب : أمى لا تعرف عنه شيئا .

أم داود : هذا غبى أبله لا يصلح لشىء .

زينب : (**كالمعزية**) البركة فى سليمان يا أم داود . سيكون له شأن إن شاء الله . سمعت أن فيه ملامح من جده .

أم داود : نعم لقد تنبأت بذلك قبل أن يولد . قلت للشيخ إن الخلفة مثل الرؤيا تأتى على العكس . أنت ذكى فطلع منك هذا الأبله . وهذا الأبله سيطلع منه طفل ذكى مثلك . فضحك منى ذلك اليوم ولم يصدقنى . يا ليته عاش ليرى مصداق كلامى .

(**يتضاحكن**)

زينب : رحمة الله على الشيخ الجوسقى . لقد سبق عصره .

أم داود : دعينا منه . لو كان فيه خير لما رفض السلطنة حين

عرضها عليه بونابرته .

زينب : تلك هي عظمته . أبى أن يرشوه بها حاكم أجنبى .

أم داود : أليس جنونا منه .. أن يلطم بونابرته على خده ؟

زينب : منتهى الشجاعة يا أم داود .

أم داود : أى شجاعة يا بنتى ؟ لقد دفعه بذلك إلى قتله ، فصرنا يتامى من بعده .

زينب : إن الله لا ينسى أبناء شهدائه وسيجعل لهم بعد عسر يسرا .

أم داود : لولا معونتك لنا يا بنت الأكابر لضعنا فى هذا البلد .

زينب : إنما ندفع بعض الدين الذى علينا للشيخ سليمان الجوسقى .

أم داود : على فكرة يا بنتى لعلك غلطت اليوم . خذى .. كثر الله خيرك .

زينب : ما هذا ؟

أم داود : الكيس الذى بعثته مع حافظ .

زينب : كلا يا أم داود ما غلطت . هذا من أجل الشهر القادم .

أم داود : ولماذا التقديم ؟

زينب : ربما يعنُّ لى سفر مفاجئ .

أم داود : إلى أين يا بنتى ؟

زينب : إلى مكان قريب !

أم داود : سر من الأسرار ؟

زينب : نعم . نعم .

أم داود : ربنا يستر عليك كما سترت علينا يا بنتى . بجاه النبى . (**تنهض لتنصرف**) ويعوضك بابن الحلال والذرية الصالحة . (**تشيعها زينب وأم زينب حتى الباب**) .

أم زينب : يا بنتى كل أصدقائك يخافون عليك وأنت لا تخافين على نفسك .

زينب : يا أماه إنهم سيؤذونك أنت إن هربت .

أم زينب : لا بأس يا زينب ، سأتحمل أذاهم قليلا فى سبيل نجاتك .

زينب : كلا يا أماه . كفى ما أصابك بسببى من قبل .

أم زينب : ما أصابنى يا زينب إلا ما أصابك .

زينب : أنا كنت سبب القطيعة بين أبى وبينك .

أم زينب : لا والله لست أنت السبب .

زينب : هو يقول ذلك .

أم زينب : هو كاذب .

زينب : ما السبب إذن ؟

أم زينب : ما كنت أريد أن أفشى هذا السر لأحد .. لكن .

زينب : اكتميه إذن . لا أريد أن أسمعه .

أم زينب : بل يجب أن تسمعيه ليستريح بالك . إنه تغير يا زينب منذ جاء الفرنسيون فعلموه السكر والعربدة ، فلم أطق أن أعيش معه .

زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .

أم زينب : صه . هذا محيى الدين قد أقبل .

(يدخل محيى الدين)

أم زينب : الحمد لله على سلامتك يا ابنى .

زينب : قابلت الجنرال هتشنسون ؟

محيى الدين : نعم جئت فورا من عنده من الجيزة .

زينب : فماذا وجدت عنده ؟

محيى الدين : تلقانى باحترام ، ثم شكا لى من غدر الأتراك واغتيالهم لكثير من جنوده بالليل .

زينب : عظيم .. ثم ماذا ؟

محيى الدين : ثم سألنى عن رأيى فى المماليك ، فأخذت أمدحهم وأثنى عليهم .

زينب : لماذا فعلت ذلك ؟

محيى الدين : لأنى لمحت عند دخولى إليه شخصا كأنه عثمان الطنبورجى ، فوقع فى ظنى أنهم مجتمعون عنده ليستمعوا إلى ما أقول . ولكننى اكتشفت أن ظنى غير صحيح ، إذ أجابنى بأنه لا يستطيع أن يعتمد على المماليك لأنهم لا يقلون غدرا عن الأتراك .

زينب : ثم ماذا ؟

محيى الدين : ثم تحدث عن جيش الشعب ، فإذا هو يعرف عنه وعن مؤسسة الشيخ الجوسقى وعنك وعنى كل شىء .

زينب : قاتله الله من أين عرف ؟

محيى الدين : لا أدرى .. قلت فى نفسى الآن يقبض علىّ للاغتيالات التى قام بها جماعتنا ، لكنه مضى فى حديثه وجعل يعرض علىّ أمرا فى غاية العجب .

زينب : ما هو يا ترى ؟

محيى الدين : الحلم الذى كان يراودك .

زينب : أفصح .

محيى الدين : أن نعاونه ويعاوننا على ما فيه صلاح البلاد وتحريرها من حكم الأتراك والمماليك ، وإقامة دولة عربية كبرى تشمل بلاد العرب كلها وتكون عاصمتها القاهرة وأكون أنا سلطانا لها وأنت سلطانة .

أم زينب : الحمد لله جاء الفرج .

زينب : انتظرى يا أماه . فماذا قلت له ؟

محيى الدين : ارتبكت من هول المفاجأة أول الأمر ، ثم تماسكت قليلا فقلت له لو كان الأمر بيدى لقبلت فى الحال . قال أتريد أن تستشير ابنة عمك ؟ قلت نعم . فندمت على نعم هذه ووددت لو وجدت إلى ردها سبيلا .

زينب : فيم ؟

محيى الدين : ما كان ينبغى أن أدله عليك .

زينب : كلا لا تندم ، فأغلب الظن أن الذى زوده بهذه الأخبار لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أخبره بها .

محيي الدين : ثم سألنى عن عنوانك فأعطيته عنوان أبيك .

زينب : هذه هي الغلطة .

محيي الدين : تظنين أنه سألنى وهو يعرف ؟

زينب : نعم ليختبر صدقك من كذبك .

محيي الدين : سامحينى يا زينب فقد كنت أستنير برأيك فى مثل هذه المواقف .

زينب : لا عليك يا ابن عمى . استعد الآن للهرب .

محيي الدين : وأنت ؟

زينب : أنا سأبقى .

محيي الدين : كلا لن أتركك وحدك .

زينب : يا ابن عمى قد شاء الله ألا يتحقق هدفنا اليوم ، فعليك أن تنجو بنفسك لعلك تستطيع أن تحمل الشعلة إلى الغد . أنت الأمل يا محيي الدين فلا تدعنى أموت يائسة قانطة . دعنى ألقى الله وأنت حى طليق فألقى الله وأنا ممتلئة أملا بأن أهدافنا ستتحقق ذات يوم .

أم زينب : عجبا لم لا تقبلان هذا العرض ؟

زينب : إنه عرض مسموم يا أماه .

أم زينب : أتفضلان الموت على أن تعيشا سلطانا وسلطانة ؟

زينب : إنما يريد أن يسخرنا ليسيطر بنا على البلاد ، ثم يركلنا بعد ذلك .

أم زينب : أما كنتما ترجيان الفرنسيين أن يقبلوا تأييد جيش

الشعب ؟

زينب : هؤلاء شيء آخر يا أماه .

أم زينب : أخطر من الفرنسيين ؟

زينب : أخطر وأخبث . إنهم يجمعون بين أطماع الاستعماريين وأحقاد الصليبيين ولهم أسطول غالب على البحر كله ، فإذا وقعت بلادنا فى قبضتهم صعب علينا الخلاص .

أم زينب : لكن الأتراك سيرجعون إلى حكمنا والمماليك .

زينب : أهون من أن يحكمنا هؤلاء الشياطين . إن حكم الأتراك والمماليك لن يكون فى قسوته الأولى ، فقد استنار الشعب كثيرا من هذه التجارب القاسية التى مرت عليه فى هذه السنوات الثلاث ونحن قد عجمنا عودهم ففى وسعنا أن نواصل كفاحنا فى عهدهم حتى يتحقق ما نريد .

محيى الدين : أنت أقدر منى يا زينب على قيادة الحركة ، فلم لا تهربين أنت مكانى وأبقى أنا مكانك ؟

زينب : كلا يا محيى الدين ، ليس للمرأة حرية الرجل فى التخفى والتنكر والتقلب فى البلاد والتعرض لما لا يليق .

محيى الدين : إذن فبالله عليك إلا ما افترقنا اليوم ونحن زوجان أمام الله وأمام الناس .

زينب : يا ابن عمى ماذا يفيدنا ذلك ؟

محيى الدين : أمنية قديمة تحققينها لقلبى قبل أن نفترق .

أم زينب : طاوعيه يا بنتى فقد بذل الكثير من أجلك ، وهذا شيء إن لم ينفعك فإنه لن يضرك .

زينب : كما تشاء يا ابن عمى .

(يخرج محيى الدين منطلقا ثم يعود بثلاثة من أصحابه أحدهم شيخ معمم فتنسحب أم زينب) .

محيى الدين : أسرع يا مولانا الشيخ قبل أن يحال بيننا وبين ما نريد .

(يعقد الشيخ الزواج بينهما فى عجلة دون تطويل ثم يشهد الرجلين على ذلك ، وتدخل الجارية بأكواب الشراب فتدور بها على الحاضرين ثم ينصرف الثلاثة صامتين) .

زينب : هيا يا محيى الدين ودعنا فإن قلبى يحدثنى أنهم آتون الساعة للقبض عليك .

محيى الدين : يا زينب دعينى أنعم قليلا بهذه اللحظات الحلوة التى أقضيها معك .

زينب : لا تدعهم يحيلوها إلى لحظات حزن وعذاب . هلم يا ابن عمى **(تفتح ذراعيها له)**

(يلتقيان فى عناق طويل والدموع تنساب من عيونهما وهما صامتان) .

زينب : **(تزحزحه عنها برفق)** حسبك يا حبيبى . انطلق الآن . انج بنفسك وانج بمصر .

محيى الدين : إلى اللقاء يا زينب .

زينب : إلى الملتقى يا محيى الدين .

(يخرج محيى الدين)

أم زينب : مسكين . لقد ظلمته يا زينب وقسوت عليه .

زينب : أنت التى أشرت علينا بالزواج .

أم زينب : لست أعنى اليوم . أعنى فيما مضى .

زينب : ما مضى فات يا أماه .

أم زينب : أنت التى ضيعته يا زينب .

زينب : كل ما فى الدنيا ضائع يا أماه إلا العمل الطيب .

(تسمع جلبة فى الخارج ثم يقرع الباب قرعا شديدا)

أم زينب : (**مرتاعة**) يا إلٰهى ما هذا ؟

زينب : من ؟

صوت : افتحوا للجنرال هتشنسون .

أم زينب : هتشنسون . ماذا جاء به ؟ يا عينى عليك يا مصر . صرت وكالة بغير بواب . يوما يدخلك الفرنسيس ويوما الإنجليز . وقبل ذلك جنس الأتراك والمماليك .

زينب : الحمد لله إذ نجا محيى الدين . ادخلى أنت يا أماه . افتحى له يا لطيفة .

أم زينب : أتقابلينه وحدك .؟

زينب : لم لا ؟ لن يأكلنى .

أم زينب : يا رب اجعل العواقب سليمة . (**تنسحب**)

(يدخل هتشنسون يرافقه ضابط إنجليزى)

المرافق : هذا بيت السيدة زينب البكرى ؟

زينب : هذا بيت والدتى أما بيت والدى ففى حى الأزبكية .

هتشنسون : أنت السيدة زينب ؟

زينب : نعم .

هتشنسون : تشرفنا . أنا الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .

زينب : تشرفنا . ماذا تريد ؟

هتشنسون : كان السيد محيى الدين عندى وجرى بينى وبينه كلام ، وقال إنه سيستشيرك أنت فأين هو ؟

زينب : كان هنا وخرج .

هتشنسون : أين ذهب ؟

زينب : لعله ذهب يحمل الرد إليك ، فلماذا لم تنتظره هناك ؟

هتشنسون : أردت أن أراك أنت أيضا ، فقد علمت أنك ذات شأن .

زينب : فهأنتذا قد رأيتنى الآن .

هتشنسون : أريد أن أعرف رأيك فيما عرضته على محيى الدين .

زينب : استشارنى محيى الدين فأشرت عليه بالرفض .

هتشنسون : لماذا ؟

زينب : لأنه ليس فى مصلحة بلادنا .

هتشنسون : أليس هذا ما كنتم تطلبونه من بونابرت ثم كليبر ثم مينو ثم بليار ؟

زينب : لكننا لم نطلبه منكم .

هتشنسون : اطلبوه منا إن شئتم .

زينب : ولن نطلبه .

هتشنسون : لماذا ؟

زينب : لأننا لا نعترف بوجودكم فقد دخلتم البلاد لمعاونة العثمانيين فى زعمكم ، فليأت العثمانيون ليفاوضونا إن شاءوا .

هتشنسون : إن العثمانيين سيأتون ومعهم المماليك وجماهير الشعب ليقتلوك لا ليولوك سلطانة .

زينب : لأن يقتلنى هؤلاء أكرم لى وأشرف من أن تجلسونى أنتم على العرش .

هتشنسون : مرة أخرى أعرض عليك الجاه والعرش ، فهل تقبلين ؟

زينب : لا لا لا .

هتشنسون : سوف تندمين .

زينب : لا أندم على واجب أقوم به .

هتشنسون : إن الشعب غاضب عليك ، وأنا سأحميك من غضبته .

زينب : لا شأن لك بى . إنى أحب هذا الشعب راضيا وغاضبا . ولئن غضب على اليوم ليرضين عنى غدا ، يوم يعرف نفسه ويعرف طريقه فيعرف عدوه ويعرف صديقه .

هتشنسون : سوف ترين (**يخرج غاضبا هو ومرافقه**) .

(**تدخل أم زينب**)

أم زينب : زينب . يظهر أنهم سيسلطون الغوغاء عليك .

زينب : حسبى الله ونعم الوكيل . دعينى أتوضأ يا أماه .

أم زينب : ما حان وقت الصلاة بعد .

زينب : لا بأس أن أتطّهر من الآن (**تخرج**) .

أم زينب : (**فى اضطراب**) انظرى يا لطيفة هل على الباب أحد ؟

لطيفة : سمعا يا ستى (**تخرج ثم تعود**) لا يا ستى .. لا أحد على الباب .

أم زينب : الحمد لله .

(تعود زينب وعلى وجهها آثار الوضوء وقد ارتدت القميص الأبيض الذى تلبسه المرأة للصلاة وعلى رأسها الطرحة البيضاء) .

زينب : ما بالك يا أمى تنظرين إلىّ ؟

أم زينب : كان ينبغى اليوم يا بنتى أن أراك فى ثوب الفرح .

زينب : هذا ثوب فرحى يا أماه ، هذا أفضل وأجمل .

أم زينب : دعينا من هذا يا بنتى .. دعينا فى المهم .

زينب : وما المهم ؟

أم زينب : أن تهربى الآن قبل أن تجىء الغوغاء .

زينب : إلى أين يا أماه ؟

أم زينب : إلى أى مكان . إلى بيت الجوسقى مثلا عند أم داود .

زينب : أتظنين هذا الإنجليزى يترك بيتنا دون أن يحيطه برجاله ؟

أم زينب : كلا لا أحد حول البيت . قد أمرت لطيفة أن تنظر فلم تجد أى مخلوق .

زينب : لا بد أنهم موجودون وإن لم ترهم لطيفة .

أم زينب : قلت لك لا أحد .

زينب : اتركيني يا أمي بكرامتي فى البيت خيرا لى .

أم زينب : يا بنتى لا تفجعينى فيك . ليس لى غيرك . اسمعى كلامى . اهربى الآن . خذى ملاءتى عليك والبرقع (**تناولها الملاءة والبرقع**) .

زينب : تعالى يا لطيفة . (**تلبسها الملاءة والبرقع**) .

أم زينب : ماذا تصنعين ؟

زينب : اخرجى يا لطيفة وامشى حتى راس الشارع فإن لم يتعرض لك أحد فعودى إلينا لألبس أنا الملاءة وأهرب .

لطيفة : وإن تعرض لى أحد يا ستى ؟

زينب : فاكشفى له وجهك وقولى أنا الجارية ، ثم عودى إلينا كذلك .

أم زينب : بوركت يا بنتى . هذه حيلة حسنة .

(**تخرج لطيفة بالملاءة والبرقع**)

لطيفة : (**يسمع صوتها صائحا**) دعونى يا أبالسة . ماذا تريدون ؟ انظروا إلى وجهى . أنا الجارية .

زينب : سمعت يا أماه ؟

أم زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .

لطيفة : (**تدخل**) كلاب . برزوا لى من الأركان وأحاطوا بى مثل الغيلان .

زينب : رضيت عنى الآن ؟

أم زينب : (**تبكى**) أنا دائما راضية عنك يا زينب وأدعو لك من قلبى ، ولكن الله لا يستجيب لدعائى .

زينب : (**تواسيها**) لا لا يا أماه هذا قول لا يصح أن تقوليه . إنه تبارك وتعالى يقول ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

(تسمع جلبة فى الخارج فترتاع أم زينب ولطيفة)

(ثم يقرع الباب قرعا شديدا فتفتح لطيفة وإذا جمع من الناس يقتحمون البيت حتى امتلأ بهم الفناء ، يتقدمهم الضابط المرافق لهتشنسون فى رجاله ، ونصوح باشا فى حاشيته ، وعثمان الطنبورجى فى نفر من المماليك ، والشيخ خليل البكرى فى عدد من الشيوخ ، والبقية من عامة الشعب وبينهم السيد حسن كربت متنكرا مع نفر من أصحابه) .

(تنسحب زينب وأم زينب ولطيفة إلى الداخل) .

الطنبورجى : (**يهمس له الضابط الإنجليزى**) يا سيد خليل البكرى . أين ابنتك المتهمة ؟ ألا تحضرها لنحاكمها ؟

خليل : (**ينهض خجلا**) سأدخل وأدعوها لكم .

(يخرج من باب الرواق)

نصوح : حذار يا جماعة لا يسربها أبوها من باب خلفى .

الضابط : لا تخف يا نصوح باشا . إن رجالى يحيطون بالبيت من كل جانب .

خليل : (**يعود**) انتظروا قليلا يا سادة . إنها تصلى .

أصوات : تصلى ؟ (**ضحك**) .

خليل : أتظنون أنها لا تعرف الصلاة ؟

أصوات : تصلى لمن يا ترى ؟ للفرنسيين ؟ لمن فيهم يا ترى ؟

خليل : سامحكم الله . تصلى لله ربها وربكم .

أصوات : يدافع عنها . هو كان السبب .

أصوات : كان يدارى عليها من قبل واليوم يحامى عنها .

أصوات : أجل كان الواجب أن تحاكموه هو قبل أن تحاكموا ابنته .

أصوات : هو الذى كان يحب الفرنسيين ويبجلهم ويهدى إليهم الهدايا ويأكل عندهم .

أصوات : ويأكلون عنده .

أصوات : وكانوا يعاملونه معاملة خاصة . أعفوه من الفردة ولم يأخذوا شيئا من أمواله .

أصوات : وولوه المناصب الرفيعة . جعلوه نقيب الأشراف . وعضوا فى الديوان .

الطنبورجى : (**يهمس له مرافق هتشنسون**) كفى يا قوم . نحن ما جئنا لنحاكم الشيخ خليل البكرى . فقد تاب وأناب .

نصوح : تاب وأناب . لو جاء الفرنساوية مرة أخرى لانضم إليهم .

الطنبورجى : يكفى عقوبة له أن الناس نهبوا اليوم بيوته وأمواله .

نصوح : يجب أن ينال كل خائن جزاءه .

الطنبورجى : يا نصوح باشا يجب أن نحافظ على النظام . نحن جئنا هنا اليوم لنحاكم زينب .

نصوح : وأين هى زينب ؟

خليل : قلت لكم .. تصلى .

نصوح : إلى متى تصلى ؟

صوت : لعلها تصلى التراويح . (**ضحك**) .

نصوح : هل دخل شهر رمضان ؟

(**يتعالى الضحك من نصوح باشا**)

الطنبورجى : (**فى سخرية وشماتة**) ألا تعرف يا نصوح باشا دخل شهر رمضان أم لا ؟ (**ضحك**) .

نصوح : أنا ما سمعت مدافع البارحة . (**ينفجرون ضحكا**) هل بطلتم المدافع ؟

الضابط : (**يصيح غاضبا**) نظام . نظام .

نصوح : أين زينب ؟ حتى التراويح لا تستغرق هذه المدة .

الطنبورجى : الباشا لا يزال يظننا فى شهر رمضان .

(**يتعالى الضحك**) .

صوت : ويظن التراويح بالنهار . مُخّ تركى صحيح .

نصوح : (**غاضبا يتلفت فى كل اتجاه**) من الذى قال ؟

أصوات : قال ماذا ؟

نصوح : قال : مخ تركى صحيح .

أصوات : أنت يا باشا قلت ذلك .

نصوح : أوه ليس الآن .. قبل ذلك .

أصوات : قبل ذلك ؟

نصوح : أوه . أغبياء ! (**يتعالى الضحك**) لماذا تضحكون ؟

أصوات : على الأغبياء يا باشا على الأغبياء .

نصوح : ظننت .

أصوات : لا .. لا تظن يا باشا . معاذ الله . (**يستمر الضحك**) .

الضابط : (**يصيح مرة أخرى**) نظام . نظام . نظام .

(تدخل زينب كما كانت بقميص الصلاة فيسكت الجميع مبهورين بما يفيض به وجهها من جمال وقداسة) .

زينب : اجلس يا أبى فى مكانك . (**يعود خليل إلى مكانه**) .

(**تردد طرفها فى الحاضرين حتى يستقر بصرها على الضابط**) ماذا تريد منى أيها الضابط الإنجليزى ؟

الضابط : أنا ؟ أنا لا أريد شيئا .

زينب : فلماذا جمعت هؤلاء الناس وجئت بهم إلى بيت أمى ؟

الضابط : أنا .. أنا ما جمعتهم .

زينب : صاحبك الجنرال هتشنسون هو الذى جمعهم ؟

الضابط : الجنرال هتشنسون ؟ لا . هم الذين اجتمعوا من تلقاء أنفسهم .

زينب : أنت كنت معه اليوم عندى حين عرض علىّ أن يجعلنى سلطانة إذا قَبِلْتُ أن أتعاون معه على طرد الأتراك والمماليك ؟

الضابط : كلا . هذا لم يحدث (**يستنجد بالطنبورجى**) .

زينب : ألا تستحى وأنت برتبة قائد أن تكذب أمام الناس ؟

الطنبورجى : أنت التى تكذبين . منذا يصدق هذا الكلام ؟ سلطانة ؟ مرة واحدة !

نصوح : هذا كلام مجانين .

الطنبورجى : هى ليست مجنونة ولكن تتظاهر بالجنون لتتخلص من العقاب .

أم زينب : (**تدخل متبرقعة**) كلا أنا كنت موجودة . حقا هذا الهتشنسون عرض عليها وعلى ابن عمها العرش . ولكنها رفضت .

لطيفة : (**تدخل**) والله العظيم هذا حق . أعدم نظرى وسمعى إن كذبت عليكم . وكان فى صحبته ذاك الرجل القاعد هناك الذى وجهه مثل القوطة .

الطنبورجى : من هذه العجوز ؟ أليست أم زينب ؟ ومن هذه الفتاة ؟ أليست جاريتها ؟ لا شك أنهما كذبتا لصالحها .

الضابط : (**لزينب**) ما كنت أعلم أنها خطيرة إلى هذا الحد . لقد أرادت

أن توقع بيننا نحن الإنجليز وبين حلفائنا الأتراك والمماليك .

نصوح : ولحساب من ؟ لحساب الفرنساوية .

زينب : لعنة الله على الكاذبين . إن الضعيف يلجأ عادة إلى الكذب ليستر به ضعفه ، أما القوى إذا كان كذابا فماذا تصنع فيه ؟

لى حيلــة فى ظالميـــــن الصدق عندهمو فضيلة
فإذا استحالوا كاذبيـــن فحيلتى فيهم قليلة

نصوح : هذه تشتمنا بالشعر .

الطنبورجى : بل تحاول بكلامها الفارغ هذا أن تلهينا عن الجرائم التى ارتكبتها .

زينب : الجرائم ؟

الطنبورجى : والخيانة العظمى .

نصوح : الخيانة العظمى ! يا عثمان بك ، الكلام فى هذا لى أنا ؟

الطنبورجى : نعم نعم . تكلم أنت .

زينب : ما شاء الله ! وزعتم بينكم الأدوار !

نصوح : يا زينب هانم حضرتك متهمة بالخيانة العظمى وعقوبتها قطع الرأس .

زينب : يا نصوح باشا أنت المتهم بالخيانة العظمى وعقوبتها الشنق .

نصوح : (**غاضبا**) أدبسيس خرسيس .

زينب : تكلم بالعربى ليفهمك الحاضرون .

نصوح : قليلة الأدب . قليلة الحياء .

زينب : لا تغضب . أقم الدليل على دعواك وأنا سأقيم الدليل على دعواى .

نصوح : حاضر يا أفندم . أنت كنت مع الأعداء الفرنسيس يوم ثار أهل القاهرة عليهم فى عهد الطاغية كليبر .

زينب : أجل كنت معهم ذلك اليوم المشئوم لكى أنقذ أهل القاهرة وأهل مصر جميعا من تلك المكيدة العظمى التى دبرتها أنت بالاتفاق مع الأعداء الإنجليز والخونة المماليك ، لتحولوا دون جلاء الفرنسيين عن بلادنا طبقا لمعاهدة العريش .

نصوح : هذا كلام مجانين . كيف يعقل أن نقاتل الفرنسيين ولا نريد جلاءهم ؟

زينب : أجل لم يكن ذلك فى مصلحة الدولة العثمانية ولا فى مصلحتنا نحن المصريين ولكن فى مصلحة هؤلاء الإنجليز ، ليقتتل الفرنسيون والأتراك فتضعف قوة الفريقين . ثم نقتتل نحن والفرنسيون فينتقم الفرنسيون منا ذلك الانتقام الفظيع .

الضابط : وما مصلحتنا نحن الإنجليز فى ذلك ؟

زينب : مصلحتكم واضحة ، فقد حضرتم اليوم فى الظاهر لمعاونة العثمانيين على طرد الفرنسيين من بلادنا ، أما فى

الباطن فلاحتلال بلادنا مكان الفرنسيين .

الضابط : هذا كذب . هذا افتراء .

زينب : هون عليك فلا أحد يتهمك أنت ولا صاحبك هتشنسون بالخيانة ، فأنتما مخلصان لدولتكما إنجلترا . ولكنى أتهم نصوح باشا هذا الذى خان دولته وخان الإسلام والمسلمين وباعنا جميعا للإنجليز .

نصوح : **(يتميز غيظا ويشد شعر رأسه ويتمتم بكلام مبهم)** . .

الطنبورجى : دع الكلام لى الآن . عندى شهود يا زينب يشهدون أنهم رأوك ذلك اليوم تحملين البندقية وتطلقين النار على قومك المسلمين فى نصرة الفرنسيين ومن دار قيادتهم العامة .

زينب : أجل كنت أحمل البندقية وأطلق النار على الدجالين النصابين الكذابين من الأتراك والمماليك ، الذين غرروا بأهل القاهرة وكذبوا عليهم فدفعوهم إلى الهلاك والدمار والخراب ، ثم تخلوا عنهم فى النهاية واتفقوا مع الفرنسيين وقدموا لهم الحطب فى السفن لإحراق القاهرة وبولاق . أتدرون يا معشر المسلمين من الذى قدم لهم الحطب ؟

أصوات : من ؟

زينب : عثمان بك الطنبورجى هذا ، وسيده الطاغية مراد بك الذى أخذه الله بالطاعون فأراح البلاد والعباد منه .

صوت : إذن فعثمان بك الطنبورجى هذا قد أرتكب الخيانة العظمى فيجب أن يلقى جزاءه .

أصوات : أجل أجل . ونصوح باشا أيضا .

(**يضطرب المجلس وتسرى فيه الهمهمة**)

الضابط : نظام . نظام .

الطنبورجى : (**لِصاحب الصوت الأول**) من تكون ؟

الرجل : رجل من المسلمين .

الطنبورجى : ما اسمك ؟

الرجل : حسن كريت نقيب الأشراف برشيد .

الطنبورجى : ما الذى جاء بك هنا ؟

كريت : جئت أشهد المحاكمة .

الطنبورجى : اخرج أنت وأصحابك .

كريت : كلا لن نخرج .

الأصحاب : لماذا تخرجنا من دون الآخرين ؟

الطنبورجى : أنتم جئتم بغير دعوة .

الأصحاب : والآخرون كانوا مدعوين ؟

الضابط : (**ينادى**) عبد العال أغا !

صوت : نعم .

الطنبورجى : أخرج هؤلاء من هنا .

زينب : يا سيد حسن كريت يا نقيب الأشراف برشيد بوركت وبورك أصحابك . إن كان لى عندكم خاطر فاخرجوا

الآن بسلام فإن هؤلاء الطغاة لا يعجزهم شيء ، وكفى ما فضحتموهم وكشفتم عن تدبيرهم والله غالب على أمره وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

(يخرج حسن كريت وأصحابه وخلفهم عبد العال أغا وزبانيته) .

(يتهامس الضابط والطنبورجي ونصوح باشا)

الطنبورجى : ما قولك الآن يا زينب فيما يعلمه العامة والخاصة من انتهاكك لحرمة الدين .

زينب : معاذ الله إنى مسلمة صادقة الإيمان أتمسك بدينى وأقوم بفرائضه ، فكيف أنتهك حرمته ؟

الطنبورجى : وتبرجك وخلاعتك ؟

زينب : كلا والله ما كنت يوما خليعة ولا متبرجة .

الطنبورجى : ووجهك هذا الذى تبيحينه للناظرين ؟

زينب : إن كنتم تتحرجون من النظر فيه فغضوا أبصاركم .

الطنبورجى : بل عليك أن تستريه .

زينب : ليس وجهى عورة فأستره .

الطنبورجى : بل كل شيء فى المرأة عورة .

زينب : هذا الفهم السيىء لمركز المرأة فى الإسلام هو أحد أسباب تخلف المسلمين وذهاب أمرهم وغلبة الأعداء عليهم .

الطنبورجى : أتريدين أن تأتى بدين جديد ؟

زينب : كلا هذا هو الإسلام الصحيح قبل تراكم الجهالات والخرافات عليه .

الطنبورجى : أوَلم ينه الإسلام عن التبرج ؟

زينب : عن التبرج لا عن السفور وفرق بين الاثنين . وقد اشترك فى معركة القادسية وحدها ألوف من النساء المسلمات . فبالله كيف يشتركن فيها وهن محجبات ؟ وكان اشتراكهن فى هذه المعركة من أكبر أسباب انتصار المسلمين على الفرس الذين كانوا يحجبون نساءهم ، فلم تشترك فى المعركة فارسية واحدة .

الطنبورجى : من أين جئت بهذا الكلام ؟

زينب : انظر تاريخ الطبرى إن شئت .

الطنبورجى : ومن الطبرى هذا ؟ لم أسمع به .

زينب : يجب أن تعرفه قبل أن تتصدى لمناقشتى فيما تجهل .

الطنبورجى : واختلاطك بالفرنسيين ؟ هذا أيضا فى الطبرى ؟

زينب : كانت مخالطتى لهم بحكم زواجى من قائدهم بونابرت .

الطنبورجى : أتريدين أن تفهمينا أن بونابرت تزوجك ؟

زينب : تلك هى الحقيقة .

الطنبورجى : الناس كلها تقول إنك كنت عشيقته .

زينب : يغفر الله لهم . معذورون . لأن الزواج كان سريا ولم يعلن .

الطنبورجى : ولماذا لم يعلن ؟

زينب : كان قد وعدنا أن يحتفل بالزواج ويعلنه عند عودته من حملة الشام ، فلما عاد مهزوما قرر الرحيل إلى أوربا فنكل عن وعده فى إعلان الزواج خشية أن تعلم به زوجته هناك .

الطنبورجى : وتم الزواج بغير مأذون ولا شهود ؟

زينب : بلى كان الشيخ محمد المهدى هو الذى عقد لنا الزواج ، وكان الشيخ الفيومى والشيخ الشرقاوى الشاهدين .

(يتهامس الطنبورجى والضابط)

الطنبورجى : عندنا شهود يشهدون بأنك كنت تراقصين فرنسيين آخرين غير بونابرت فى ملهى التيفولى وتشربين معهم الخمر .

زينب : **(تتحادر دموعها ولا تجيب)** ...؟

الطنبورجى : لماذا سكتِّ ؟ أتستطيعين أن تنكرى ذلك ؟ هل نحضر لك الشهود ؟

أم زينب : اشرحى لهم الحقيقة يا بنتى . دعيهم يعلموا كل شىء .

الطنبورجى : اسكتى أنت .

أم زينب : أسكت وأنتم تريدون أن تدينوا ابنتى بكل سبيل ؟

زينب : أجل وقع منى هذا الذى تذكرون لا حبا فى الخمر ولا فى المراقصة يعلم الله ، ولكن تحديا لبونابرت إذ أخلف وعده بإعلان الزواج . وكان يغار من ابن زوجته الشاب بوهارنيه فجعلت أراقص هذا الشاب وأشرب

معه على رؤوس الأشهاد فى الملهى لأثير غيظ بونابرت وأسحق كبرياءه .

الطنبورجى : ما شاء الله ما شاء الله ! كأنَّ غضبك على بونابرت قد أباح لك شرب الخمر ومراقصة الرجال فى ذلك الملهى الذى يعج بالفسوق والفجور ؟

زينب : أعترف أنها كانت نزوة طائشة منى ولم تدم غير بضع ليال ، ثم أدركت أننى أردت أن أحطمه فحطمت نفسى فأقلعت عن ذلك وتبت إلى الله وندمت على ما كان منى ، وما زلت نادمة حتى اليوم .

الطنبورجى : كيف نصدق توبتك وأنت إلى اليوم مقيمة على سُفورك وخروجك على تقاليد قومك ؟

زينب : أنا تبت إلى الله مما أعده معصية ، ولكن لا أتوب إليه مما لا أرى فيه بأسا بل أرى فيه مرضاة الله سبحانه .

الطنبورجى : اسمعوا يا قوم ! إنها ترى فى ذلك مرضاة الله .

زينب : أجل إن الله لا يرضى لنساء المسلمين أن يكن إماء لا كرامة لهن ولا مكانة .

الطنبورجى : كأنك تريدين أن تحذو نساء المسلمين حذوك ؟

زينب : يا ليت إذن لكان للمسلمين اليوم شأن آخر .

الطنبورجى : أتسمعون ؟ إنها تريد أن تنشر الفساد فى نسائكم وبناتكم .

زينب : بل أريد أن أحررهن من ذل الحجاب ومهانة الحريم ،

ففي ذلك صلاحهن وفى صلاحهن صلاحكم أنتم .

نصوح : هذا يكفى لقطع رقبتها فماذا تنتظرون ؟ هذه كافرة .

أصوات : أجل أجل . اقتلوها . اقطعوا رقبتها . تستحق قطع الرقبة .

زينب : لست أول داع إلى الخير يقتله الجاهلون .

أصوات : الجاهلون ؟ نحن الجاهلون ؟ اقتلوا هذه الكافرة . واقتلوا أباها أيضا فهو الذى أساء تربيتها وأطلق لها العنان . أجل اقتلوا أباها فقد كان السبب .

زينب : كلا إن أبى لا شأن له . إن أردتم أن تقتلونى فاقتلونى وحدى .

الطنبورجى : ماذا تقول يا شيخ خليل .

خليل : أنا لا شأن لى بها يا قوم .

أصوات : إن كنت صادقا فتبرأ منها ومن عملها .

خليل : أنا برىء منها ومن عملها إلى يوم القيامة .

أم زينب : يا جبان ! يا خسيس !

خليل : اقتلوها فهى التى شجعتها على الفساد .

أصوات : أجل . اقتلوا هذه العجوز .

أم زينب : لا بأس اقتلونى إن شئتم فلن يكون للحياة عندى معنى بعد زينب . لكن اسمعونى أولا حتى أفضح لكم هذا الشيخ وأكشف لكم مخازيه .

زينب : كلا لا تفعلى يا أماه . اتركيه من أجلى . لا تنسى أنه أبى .

(يتهامس الضابط والطنبورجي ونصوح باشا)

الطنبورجى : انصرفوا يا قوم فقد انتهت المحاكمة .

أصوات : نريد أن نشهد عقوبتها

الطنبورجى : هذه ليست مهمتكم . هذه مهمتنا .

(يخرج عامة الناس ولا يبقى غير الثلاثة وحاشيتهم)

(يقترب الضابط من زينب ويسر إليها كلاما)

زينب : (**تفاجئه بلطمة على خده**) خذ هذه لك .

الضابط : (**محتجا**) أيتها الـ .

زينب : (**تعاجله بلطمة على الخد الآخر**) وهذه لهتشنسون .

(يلمس كل من الطنبورجى ونصوح خدّه كأنه يتحسس أثر اللطمة فيه) .

الضابط : (**يصيح**) عبد العال أغا .. خذها واقطع رقبتها .

زينب : (**يسوقها عبد العال أغا وزبانيته نحو داخل البيت**)

يا رب أنقذ الكنانة وادفع بلاءها وارفع لواءها وأصلح رجالها وارحم نساءها . واجعل لها جيشا من بنيها يعزها ويحميها . يا رب أنت العليم وأنت الخبير .

وأنت المولى وأنت النصير .

(ستار الختـام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) اخناتون ونفرتيتى
(٢) سلامة القس
(٣) وا إسلاماه
(٤) قصر الهودج
(٥) الفرعون الموعود
(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس
(٨) روميو وجولييت
(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر
(١١) السلسله والغفران
(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم
(١٤) أبو دلامة
(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة
(١٧) ماسأة أوديب
(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع
(٢٠) شعب الله المختار
(٢١) إمبراطورية فى المزاد
(٢٢) الدنيا فوضى
(٢٣) اوزوريس
(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران
(٢٦) إله إسرائيل
(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة
(٢٩) جلفدان هانم
(٣٠) فى ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات
(٣٢) الشيماء
(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق
(٢) معركة الجسر
(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك
(٥) تراب من أرض فارس
(٦) رستم
(٧) أبطال القادسية
(٨) مقاليد بيت المقدس
(٩) صلاة فى الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل
(١١) عمر وخالد
(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة
(١٤) حديث الهرمزان
(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية
(١٧) فتح الفتوح
(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس

كلمة الناشر

وفاء لذكرى متعدد المواهب ، الروائى ، المسرحى ، الشاعر ، الأديب ، الفنان على أحمد باكثير ..

وحفاظا على تراثه الغزير ذى القيمة من الاندثار والضياع ..

وخدمة للمكتبة العربية التى أثراها — آنفا — بفيض من تآليفه الرائعة فى مختلف فنون الأدب : الشعر ، والرواية ، والقصة ، والمسرحية ، والمسرحية الغنائية .

رأت « **مكتبة مصر — سعيد جودة السحار وشركاه** » التى كان لها شرف تقديم جل إنتاجه للقراء ابتداء من سنة ١٩٤٣ ، فأمتعت به أبناء الجيل الماضى .

أن تعيد طبع أعماله جميعا ونشرها فى ثوب جديد ، وفى قطع موحد ، حتى تتيح الفرصة لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة للتمتع — كذلك — بإنتاجه البارع الرفيع .

وتعتقد « **مكتبة مصر** » أن الأستاذ الراحل على أحمد باكثير ، برغم ما بلغه من مكانة مرموقة بين أدباء العربية ، لم ينل بعد كل ما يستحقه من التقدير الذى يؤهله لأن يكون فى القمة بين جميع الكتاب المعاصرين .

ذلك لأنه — وصديقه الراحل عبد الحميد جودة السحار — كانا هدفا لحملات ظالمة أحيانا ، ولإهمال متعمد أحيانا أخرى ، من بعض من كانوا يتحكمون فى النقد فى الصحف والمجلات فى تلك الأيام ، أيام غياب الحرية ، وتحكم الماركسيين فى أقدار الكتاب ؛ فقد وجهت إلى كل منهما تهمة أنه « يؤمن بالغيبيات » وأنه « غير تقدمى » ، كأنما الإيمان بالله والتمسك بالقيم الروحية يحطان من قدر الكاتب ويزريان بأدبه .

وإن هدف « **مكتبة مصر** » من إعادة نشر مؤلفاته ، وتقريبها من أيدى القراء ، هو أن تساعد على أن يوضع على أحمد باكثير فى المرتبة التى يستحقها بين كبار كتاب العربية ، وأن تعرف مؤلفاته الروائية والمسرحية طريقها إلى المكتبة العالمية .

وبالله التوفيق .

سعيد جودة السحار

رقم الإيداع : ١٩٩٠/٨١٨٠
الترقيم الدولى : 6 - 0623 - 11 - 977

Bibliotheca Alexandrina
0295561

الثمن ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه